

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



جامعة محمد بوضياف
كلية: الآداب واللغات
قسم: اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي:/.....

رقم التسجيل: 125083926

1335085192

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر تخصص: أدب عربي حديث ومعاصر
بعنوان:

صورة المرأة

في رواية "عائشة" ل: البشير بن سلامة

إعداد الطالبتين:

خولة قسمية - منى بلعمري

تاريخ المناقشة: 2018/05/14 على الساعة: 16 - 17.

أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة:

رئيسا	جامعة محمد بوضياف المسيلة	- د. عبد العزيز بوشاللق
مشرفا ومقررا	جامعة محمد بوضياف المسيلة	- د. جادي عمر
ممتحنا	جامعة محمد بوضياف المسيلة	- د. هني لخضر

السنة الجامعية: 1438هـ/1439 هـ - 2018/2017م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكر و عرفان

﴿ رَبِّ أُوذِرْ عَنِّي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا

تَرْضَاهُ وَأُوذِرْ عَنِّي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ [سورة النمل: الآية 197]

الحمد لله الذي أنار لنا درب العلم والمعرفة ووفقنا

إلى إنجاز هذا العمل

نتوجه بجزيل الشكر والإمتنان

إلى كل من ساعدنا من قريب أو بعيد

في تذليل ما واجهناه من صعوبات.

نخص بالذكر الأستاذ المشرف "جادي عمر"

الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته ونصائحه القيمة البناءة

كانت خير عون لنا في إنجاز هذا البحث

ولا يفوتنا أن نشكر اللجنة المناقشة

كما نتقدم بالشكر إلى عمال "مكتبة حسين"

على كتابة وطباعة هذه المذكرة

مفحات

مقدمة:

تعد الرواية من بين أبرز الأجناس الأدبية وأكثرها انتشارا والتي نشأت بداية في الغرب لتنتقل فيما بعد إلى البيئة العربية قاطعة بذلك أشواط لا يستهان بها في مسيرتها نحو التطور والتجديد، وكان هذا بفضل كتاب أغنوا المكتبة العربية بعديد الروايات وساهموا في دفع عجلة هذا الفن نحو الأمام، وقد جاءت الروايات العربية في مجملها لتعالج أهم القضايا الاجتماعية ولعل من أبرز القضايا التي عالجتها قضية المرأة، وقد تناولها الروائيون كل ووجهة نظره التي تختلف عن الآخر في بعض النواحي، وتتفق في نواحي أخرى، كون موضوع المرأة يكتسي أهمية بالغة فطالما تحدثت عنها الشرائع السماوية والقوانين الوضعية، وتناولتها البرامج السياسية والأعمال الأدبية بصفة عامة والرواية على وجه الخصوص، فصورة المرأة يعكسها الروائي في عمله الفني الإبداعي وفق رؤيته الخاصة.

وقد ارتأينا أن تكون دراستنا لموضوع المرأة من منظور الروائي التونسي (البشير بن سلامة) في روايته "عائشة".

وتكمن أهمية هذه الدراسة في تسليط الضوء على وضعية المرأة وكذا إسهاماتها في الحياة الإنسانية والدور الذي تلعبه فيها وكيف تجسدت هذه الصورة.

في الرواية العربية بصفة عامة والرواية المغاربية على وجه التحديد ولعل من أبرز الأسباب التي دفعت بنا إلى البحث في هذا المضمار ما يلي:

- محاولة إبراز صور مختلفة للمرأة وفق طبيعة المجتمع وبحسب ما تصورها الرواية العربية.

- الرغبة في تسليط الضوء على قضية شائكة مازال يتخبط فيها المجتمع العربي ألا وهي قضية المرأة، في ظل الانفتاح الحاصل وطبيعة المجتمع العربي المحافظ.

- الكشف عن الوضعية التي تعيشها المرأة وفق ما تجسده الروايات العربية على اعتبار أن الأدب مرآة عاكسة للواقع.

ومن أجل الخروج بأفضل النتائج المرجوة من البحث ارتأينا أن تكون دراستنا من عمق المجتمع وأن تتمحور حول مسائل عدة ترتبط ارتباطا وثيقا بموضوع المرأة ألا وهي الحقوق، الحرية، العادات، التقاليد... وغيرها وعليه فقد وقع اختيارنا على رواية عائشة كونها تبرز طبيعة المجتمع التونسي فيما يتعلق بالمرأة والوضع الذي كانت تعيشه بالإضافة إلى المكانة التي تحتلها خلال فترة من الفترات كون الرواية تجسد كل ذلك فالكاتب أبرز صورة المرأة من مختلف الزوايا.

وهو ما يدفع بنا إلى طرح جملة من التساؤلات لعل أهمها:

- كيف تجلت صورة المرأة في رواية "عائشة" على اعتبارها رواية عربية بالدرجة الأولى وتونسية بالدرجة الثانية؟ وإلى أي مدى وفق البشير بن سلامة في عكس واقع المرأة وتصوير وضعيتها في روايته؟

أما بخصوص المنهج المتبع فقد اتبعنا المنهج الوصفي التحليلي باعتباره الأنسب لهكذا نوع من الدراسات، ولعل من بين أهم المراجع التي اعتمدنا عليها في بحثنا هذا شعر النساء في صدر الإسلام والعصر الأموي لـ"سعد بوفلاحة"، المرأة العربية وقضايا التغيير لـ"خليل أحمد خليل" أدب النساء في الجاهلية والإسلام لـ"محمد بدر المعبدي"، وقد اعتمدنا على خطة بحث اشتملت على مقدمة تضمنت عرض أسباب وأهداف الدراسة بالإضافة إلى إشكالية البحث، وللإجابة عنها قمنا بتقسيم البحث إلى فصلين وقد جاء الفصل الأول معنوناً بـ: المرأة عبر العصور، على أساس أنه لا يمكن دراسة صورة المرأة بمعزل عن تاريخها في أربع مباحث:

أولا التعريف بمفاهيم الدراسة (الرواية، الصورة، المرأة) وفي محاولة منا لتتبع ورصد وضعيات المرأة عبر العصور جاء المبحث الثاني بعنوان: المرأة في العصر

الجاهلي، والمبحث الثالث بعنوان: المرأة في صدر الإسلام، أما المبحث الرابع فقد جاء بعنوان: المرأة العربية في العصر الحديث.

أما فيما يخص الفصل الثاني فقد جاء على شكل دراسة تطبيقية بعنوان: تجليات صورة المرأة، وتناولنا من خلال مباحثه الصورة العامة التي ظهرت عليها المرأة كما صورها (بن سلامة) لنختم الفصل بالحديث عن الأنثى في الرواية التونسية.

وينتهي هذا البحث بأهم النتائج المتوصل إليها وأتبعنا الفصلين بملحق تناول سيرة البشير بن سلامة بما في ذلك أهم أعماله الفكرية والإبداعية وتضمن ملخصاً للرواية.

وكما لا يخلوا أي بحث من صعوبات، فقد اعترض سبيلنا عدة عراقيل منها حساسية، الموضوع كونه يمس الجانب الأخلاقي من جهة والجانب الديني من جهة أخرى بالإضافة إلى تشعب الموضوع وتفرعه، بما لا يتسع له البحث إلا أننا استطعنا تجاوزها بفضل الأستاذ المشرف "عمر جادي" الذي أعاننا كثيراً ولم يبخل علينا بالنصح والتوجيه مما مكن من إتمام هذا البحث فله وافر الشكر وجزيل الامتنان، راجين أن يكون العمل فاتحة لدراسات لاحقة.

الفصل الأول

المرأة عبر العصور

أولاً - التعريف بمفاهيم الدراسة

ثانياً - المرأة العربية قبل الإسلام

ثالثاً - المرأة العربية في صدر الإسلام .

رابعاً - المرأة العربية في العصر الحديث

تمهيد:

للمرأة دور هام في المجتمع، فهي نصفه، وهي التي تشارك الرجل وتسانده في الحياة، ويعتبر دور المرأة مهما إلى جانب شقيقها الرجل، من أجل تكاتف الجهود وتضافرها لتسهيل وتذليل مصاعب الحياة.

فالمرأة لها دور أساسي في نمو المجتمعات، ونهضتها، كونها المدرسة المعدّة لتكوين الأجيال وتربيتها إلى جانب امتلاكها سلاح التأثير، وهو ما يؤكد على دورها الحساس.

وفي ضل هذا لا يمكننا إنكار دور المرأة الفعال، في السير قدما بالمجتمعات نحو الازدهار والتقدم، بإسهامها في مختلف ميادين الحياة العامة داخل المجتمع فهي الأم والابنة والزوجة والشقيقة والحببية....

أولاً: التعريف بمفاهيم الدراسة

1- مفهوم الصورة

أ- الصورة لغة:

وردت لفظة "صورة" في التنزيل العزيز، في عديد الآيات والسور القرآنية، كقوله

تعالى: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾⁽¹⁾، وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾⁽²⁾.

وقال عكرمة: "إن شاء في صورة قرد، وإن شاء في صورة خنزير، ومعنى هذا

القول؛ أن الله عز وجل، قادر على خلق النطفة على شكل قبيح من الحيوانات المنكرة

الخلق، ولكن بقدرته ولطفه وحلمه يخلقه على شكل حسن، مستقيم، معتدل القام، حسن

المنظر والهيئة"⁽³⁾.

ويقول "ابن كثير" في (تفسير القرآن الكريم): "أي يخلقكم في الأرحام كما يشاء من

ذكر وأنثى، وحسن وقبيح، وشقي وسعيد"⁽⁴⁾؛ وبهذا يكون من بين معاني كلمة "صورة" في

القرآن الكريم (الهيئة والشكل والصفة..)، والمصور اسم من أسماء الله الحسنى.

أمّا في المعاجم العربية فنجد هذه اللفظة، أي الصورة مشتقة من الفعل صوّر

يصوّر، تصويراً وقد جاء في "لسان العرب" لابن منظور يقال: "صورة الفعل كذا وكذا أي

هيئته، وصورة الأمر كذا وكذا؛ أي صفته.

وتصورت الشيء: توهمت صورته فتصور لي، والتصاوير: التماثيل ورجل صير

شئير: أي حسن الصورة والشارة"⁽⁵⁾.

¹ - سورة الانفطار: الآية 08.

² - سورة آل عمران: الآية 06.

³ - ابن كثير الدمشقي: تفسير القرآن العظيم، ج4، (د.ط)، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2006، ص 2000-2001.

⁴ - المرجع نفسه: ج1، ص 314.

⁵ - ابن منظور: لسان العرب، ج2، (د.ط)، الدار المتوسطة للنشر والتوزيع، تونس، (د.ت)، ص 2259.

"صور في أسماء الله تعالى، المصوّر وهو الذي صوّر جميع الموجودات، فأعطى كل شيء منها صورة خاصة، وهيئة متفردة تتميز بها على اختلافها وكثرتها. قال ابن الأثير: "الصورة تُردُّ في كلام العرب على ظاهرها، وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته، وعلى معنى صفته".

والجمع صُورٌ وصِوْرٌ وصُورٌ، وقد صوره فتصوّر.

وفي حديث ابن مقرن: أمّا علمت أن الصورة محرّمة؟ أراد بالصورة الوجه؛ وتحريمها المنع من الضرب والطمع على الوجه⁽¹⁾. من هنا يمكن لنا استخلاص معنى كلمة صورة فهي (الخلق، التماثل، الصفة، الشكل، هيئة الشيء).

ب - الصورة اصطلاحاً:

لقد تناول الكثير من الباحثين والنقاد العرب موضوع الصورة، في عديد أعمالهم فهي حسب عبد العزيز عتيق: "الأثر النفسي الذي ينشأ مباشرة من انفعال حاسة أو عضو حاسٍ.. والإدراك الحسي يعني الفهم، أو التعقل بواسطة الحواس، وذلك كإدراك ألوان الأشياء، وأحجامها، وأبعادها، بواسطة البصر"⁽²⁾، وهي إمّا حقيقية أو خيالية ينفعل بها الإنسان ويدركها بحاسة من حواسه.

أمّا "أبو هلال العسكري" صاحب الصناعتين فبحديثه عن الصورة ضمن إطار البلاغة يقول: "وإنما جعلنا المعرض وقبول الصورة شرطاً في البلاغة، لأنّ الكلام إذا كانت عبارته رثة، ومعرضة خلقاً لم يُسم بليغاً، وإن كان مفهوم المعنى، مكشوف المغزى"⁽³⁾، أي أنّ الصورة المقبولة والمعرض الحسن، شرطان لا غنى عنهما في تحقيق البلاغة، فبهما يبلغ المعنى قلب السامع ويتمكن في نفسه.

¹ - ابن منظور: لسان العرب، ج2، المرجع السابق، ص 2259.

² - عبد العزيز عتيق: في النقد الأدبي، ط2، دار النهضة العربية، بيروت، 1972، ص 68.

³ - أبو هلال العسكري: الصناعتين، الكتابة والشعر، (د.ط)، منشورات المكتبة العربية، لبنان، 1986، ص 19.

وها هو "الجاحظ" قد ردّ البراعة إلى الصياغة والتصوير، وقلّ من شأن المعاني: "المعاني ملقاة في الطريق، يعرفها الأعجمي والعربي والبدوي والقروي والمدني، وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج وكثرة الماء، وفي صحة الطبع وجودة السبك فإنّما الشعر صناعة وضرب من النسيج، وجنس من التصوير"⁽¹⁾.

فهو يعتبر الشعر نوعاً من التصوير؛ ممّا يعني أن لديه القدرة على إثارة صور بصرية في ذهن المتلقي، وعليه فإنّ الصورة الفنية جانب لا يستهان به من جوانب الصياغة الشكلية.

و"الصورة الفنية الناجحة إذن، هي تلك التي تعكس صدق إحساس، وقوة انفعال وجودة تعبير وتصوير، فنتوفر على عناصر التأثير في النهاية"⁽²⁾.
فالإحساس الصادق ينتج عنه صورة صادقة مؤثرة.

الصورة طريقة خاصة من طرق التعبير، ووجه من أوجه الدلالة، تنحصر أهميتها في ما تحدثه في المعاني من خصوصية وتأثير، ولكن مهما كانت هذه الخصوصية فإنّ الصورة لن تغير من طبيعة المعنى في ذاته، إنّها لا تغير إلا من طريقة عرضه وكيفية تقديمه"⁽³⁾.

وبالتالي فإنّ الصورة ليست ثابتة، تختلف أشكالها باختلاف قدرات الكاتب على الخلق ومستوى تجربته، كما أنّها ليست واقعية بالضرورة، كما أنّها ليست حقيقة ثابتة، عدا عن كونها تتغير بتغير الأوضاع والمناسبات والكتاب.

¹ - الجاحظ: أبو عثمان عمر بن بحر محبوب الكتاني الليثي البصري، كتاب الحيوان، ج3، (د.ط.)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1996، ص 132.

² - عمر بن قنية: الشكل والصورة، ط1، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1995، ص 70.

³ - جابر عصفور: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، ط2، دار التنوير للطباعة والنشر، لبنان-بيروت، 1983، ص 323.

"إنّ للخيال الخصب الحيوي دور مهم في بناء صورة ناجحة، كما تسهم الفطنة إلى حد بعيد في تجميع الأفكار، ووضعها معا في خفة وتنوع، حيثما يوجد تشابه وتجانس، فتضع منها صوراً بهيجة ورؤى مقبولة في التصوير"⁽¹⁾.

وقد أولى النقد المعاصر أهمية كبيرة للصورة: "فهي وسيلته التي يستكشف بها القصيدة، وموقف الشاعر من الواقع، وهي إحدى معايير الهامة في الحكم على أصالة التجربة، وقدرة الشاعر على تشكيلها، في نسق يحقق المتعة والخبرة لمن يتلقاه"⁽²⁾.

2- التعريف بالمرأة:

أ- لغة:

"المرأة: الأنثى من النوع الإنساني، خلاف الرجل ولفظها مأخوذ من جذر "مرأ" جاء في لسان العرب لابن منظور "مرأ، المروءة: كمال الرجولة، مرؤ الرجل، يمرؤ مروءة فهو مريء على وزن فعيل، والمروءة: الإنسانية".

الفراء: يقال من المروءة مرؤ الرجل، يمرؤ مروءة والمرء الإنسان، تقول هذا مرء وقد ورد في حديثه الحسن: "أحسنوا ملائكم أيها المرؤون".

قال ابن الأثير: "وجمع المرء وهو الرجل، ومنه قول رؤبة لطائفة رآهم أين يريد المرؤون؟

وقد أثنوا فقالوا: مرأة وخففوا التخفيف القياسي فقالوا: مرة بترك الهمزة وفتح الراء وألحقوا ألف الوصل فقالوا: امرأة فإذا عزّفوا قالو: المرأة وقالوا امرأة تأنيث امرئ"⁽³⁾.

"إنّ للعرب من المرأة ثلاث لغات: امرأة، ومرأة، ومرة، وكلها مشتقة من المروءة والمروءة الإنسانية، وهي كمال الأنوثة مثلما هي كمال الرجولة.

¹ - عمر بن قينة: الشكل والصورة، المرجع السابق، ص 71.

² - جابر عصفور: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، مرجع سابق، ص 07.

³ - ابن منظور: لسان العرب، ج 1، (د.ط)، الدار المتوسطة للنشر والتوزيع، تونس، (د.ت)، ص 145.

فالمرء: الرجل... جاء في حديث علي رضي الله عنه أنه لما تزوج فاطمة قيل له: لقد تزوجت امرأة كاملة في النساء، وكما يقال فلان رجل أي كامل في الرجال ذلك أن المروءة عند العرب، هي العفة والنخوة والحلم والمعروف والصدق... وقيل هي أن لا تفعل في الستر أمراً وأنت تستحي أن تفعله جهراً، وهي حفظ اللسان، وتجنب المجون والسّمات وتعاطي الإنسان كل ما يستحسن وتجنبه كل ما يسترذل... وقيل أول المروءة طلاقة الوجه والثاني التودد والثالث قضاء الحوائج للمحتاجين وقال عمر رضي الله عنه تعلموا العربية فإنها تزيد من المروءة"⁽¹⁾.

فالمرأة عند العرب جمع كل ما في الإنسانية من خصال حميدة وخلالٍ طيبة، وجمع امرأة هي نساء"⁽²⁾.

ب - اصطلاحاً:

تعددت نظرة الفلاسفة والمفكرين والأدباء إلى المرأة، كل حسب موقفه الخاص ورأيه، ومن بين هؤلاء نجد:

- يقول حسين سليم: "المرأة هي الحياة والحياة هي المرأة، فهي شمس الربيع التي تبعث أشعتها لتعطي الدفء والحياة، لجميع الكائنات الطبيعة فينتج هذا العطاء إبداع في الجمال الأخاذ الذي يظهر في أزهارها، وأشجارها، ونبابيعها، وجبالها مجموعة، تُصوّر لنا أسمى معاني الجمال الصافي في الطبيعة، وجمال المرأة نوعان: جمال الإغراء الأنثوي وجمال الجوهر الروحي"⁽³⁾.

- ويقول عواضة "المرأة هي عالم الجمال، ولأنّ الجمال من المؤثرات التي يستجيب لها الإنسان فيشعر بالراحة، وتتبسط أساريره، وترتوي نفسه من ينباع ذلك الكائن

¹ - عرفان محمد حمور: المرأة والجمال والحب في لغة العرب، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2006، ص 21.

² - المرجع نفسه: ص 21.

³ - حسين أحمد سليم: أروع ما قيل في المرأة والحب، (د.ط)، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، 2002، ص 308.

الأكثر سحرا وجاذبية من دون الكائنات الأخرى، وقد تكون المرأة مصدر قلق للإنسان وسببا من أسباب المعاناة له، فتتقبض أساريه، ويعتصر الألم فؤاده"⁽¹⁾.

تبقى المرأة عنصرا مهما لاستمرارية الحياة، القائمة على ثنائية جميلة، تعطي للحياة طابعها الإنساني، مهما قيل ومهما كتب الرجال، فهي الأم لهذا البحر الواسع من الحب والحنان، والعطف والدفء، واللين الثبات، والنعومة والإحساس، فهي المثير الذي يدفعه إلى الأمام نحو والتقدم النجاح، فهي الأخت، والصديقة، والحبيبة، الأم والزوجة"⁽²⁾.

- "المرأة إناء مقدس للحياة، يُعرف فضلها على الأجيال في كل زمان ومكان فالرجل دون المرأة نصف إنسان، والمرأة دون الرجل نصف إنسان، وأما الاثنان فيشكلان الإنسان الكامل"⁽³⁾.

- "المرأة أبهج شيء في الحياة، وكل ما في الخليقة، وأعظم مخلوق؛ لأن لها قدرات خلاقية وحيوية، ربما لا نجدتها في الرجل فقد منحها الله قدرة الرقة والعذوبة، وقد احتضنت وظيفة الأمومة، أن تكون المرأة أكثر حساسية من الرجل وأسرع استجابة للمؤثرات العاطفية والوجدانية وكثيرا ما تهتدي عن طريق شعورها وبصيرتها إلى حقائق قد لا يستطيع الرجل أن يهتدي إليها بعقله وتفكيره المجرد، فالمرأة هي الواحة الخضراء في صحراء الحياة، والمرأة قصيدة الدهر وأغرودة الأبد"⁽⁴⁾.

¹ - رضا عواضة: أسرار المرأة في كلمات، (د.ط)، دار الكتاب الحديث للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1999، ص10.

² - حسين أحمد سليم: أروع ما قيل في المرأة والحب، المرجع السابق، ص 11.

³ - المرجع نفسه: ص 83.

⁴ - محمد بدر المعبدي: أدب النساء في الجاهلية والإسلام، القسم الأول، (د.ط)، مكتبة الآداب و مطبعتها، مصر (د.ت)، ص 9.

- "النساء شقائق الرجال، وهنّ نصف المجتمع، ففي الواقع ليس للمرأة وليس للرجل تاريخان منفصلان؛ فهما صانعا تاريخ مشترك حتى في علاقات القهر المفترضة في مجتمع معين، وهما شرطان متكاملان لكل بناء اجتماعي"⁽¹⁾.
- "فالمراة الناجحة تعتبر سكنا للزوج، وحرثا له، وهي شريكة حياته وربة بيته وأم أولاده، ومهوى فؤاده وموضع سره، وهي أهم أركان الأسرة فعنها يرث الأولاد من المزايا والصفات وعنها يتلقون لغتهم ويكتسبون الكثير من العادات والتقاليد والسلوك الاجتماعي"⁽²⁾.
- يقول فولتير " المرأة خلقت لتحب الرجل وتخضع له".
- يقول نيتشه "المرأة لغز مفتاحه كلمة وهي الحب"⁽³⁾.
- "المرأة هي الأنثى، الزوجة، الحبيبة، الرفيقة... كلها ألقاب تطلق على المخلوق ذاته... اختلفت المواقع التي يحتلها في دنيا البشر، حيث جعل منها الباحثون أو الدارسون الذين اختلفت لغاتهم وإيديولوجياتهم، وذلك في كتاباتهم الأدبية أو الاجتماعية أو الفلسفية على حد سواء"⁽⁴⁾.
- "المرأة في الأدب والشعر، هي الوحي الذي يلقي في خلد الأدباء والشعراء صور متنوعة، من رؤى الأحلام يبعثها في أفئدتهم نسима عليلا، وفكرا رائعا، يتهادى على أسلات اللسان بردا وسلاما، يطمئن إليه القلب ويرتاح إليه خاطر، فالمرأة خمرة الأدب ورحيقه، يرشفه الأديب والشاعر نشوة غامرة، وما ينتبه منها ذكرها ففيه من روحها حلاوة ومن دلالتها نغم، ومن سحرها رحيقه، ولقد سجل التاريخ لبعض النساء العربيات

¹ - خليل أحمد خليل: المرأة العربية وقضايا التغيير، ط 2، دار الطليعة للطباعة والنشر، لبنان، 1982، ص 8.

² - لخضر حليتم: صورة المرأة في الأمثال الشعبية الجزائرية، ط2، دار النشر المؤسسة الصحفية بالمسيلة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص 107.

³ - إميل ناصيف: أروع ما قيل في المرأة (د.ط)، دار الجبل، بيروت، (د.ت)، ص 93، 16.

⁴ - علي عبود الحمداوي: الفلسفة النسوية، ط1، دار الأمان، الرباط، 2013، ص 39.

في فترات زمنية متقطعة، في العقل والعلم والأدب، فحفلت كتب التاريخ والأدب بالأديبات والشاعرات في شتى العصور والأزمنة"⁽¹⁾.

ج- أهمية موضوع المرأة في الرواية:

"تعاني المجتمعات العربية من مشاكل اجتماعية، وتعرض سبل تقدمها جملة من عوارض التخلف، ومظاهر الظلم والحيث، ومن جملة المشاكل المطروحة في هذه القضية القديمة المتجددة، أنها قضية ملحة ومفتوحة كثيرا، بصورة تصل أحيانا حدّ التناقض فبينما بعض الآراء ترى ضرورة التزام المرأة بالبيت ولبس الحجاب، ترتفع أصوات أخرى لتمزيق ذلك الرداء الأسود، والانطلاق إلى العمل والمشاركة في الحياة جنبا إلى جنب مع شقيقها الرجل، وبين هذين النقيضين ترتفع أصوات وسطية، تدعو إلى إتباع منهج وسط بين الانغلاق والتحرر ولمختلف الآراء.

ومن هنا فإنّ التطرق لموضوع المرأة يكتسب أهمية بالغة؛ كونه يعالج إشكالية مطروحة، طالما تحدثت عنها الشرائع السماوية، والقوانين الوضعية، وتناولتها البرامج السياسية، كما استحوذت المرأة على القلوب والعقول أمّا، أختًا، خطيبة، حبيبة، زوجة"⁽²⁾.

- "أمّا وجود المرأة في ميدان الأدب، فيحتل مساحة كبيرة، فقصاصد الشعر العربي تنوء بوصف النساء، ولوحات الرسامين تعتمد على هذا الموضوع.

- كذلك الأفلام والإشهار وأسواق المتعة، فالمرأة جزء لا يتجزأ من حفلات المجتمعات الراقية، ومن عروض الأزياء ومن النوادي المتخصصة للقمار وغيرها من المنشآت السياسية"⁽³⁾.

- والمرأة في الرواية تحتل نصيبا أوفى وأوفر، وكذلك الشأن في الدراسات الأدبية والاجتماعية، ومع كثرة الدراسات المقدمة عن المرأة سلبا أو إيجابا فإنّ تلك الدراسات

¹ - محمد بدر المعبدي: أدب النساء في الجاهلية والإسلام، المرجع السابق، ص 9.

² - مفقودة صالح: المرأة في الرواية الجزائرية، ط2، صدر عن وزارة الثقافة، 2008، ص 10.

³ - المرجع نفسه: ص 10.

والبحوث تجري في أماكن أخرى، بحيث تكاد تقتصر تلك الأبحاث حول النساء في المدن"⁽¹⁾

3- مفهوم الرواية:

أ- لغة:

تعددت مفاهيم الرواية من الناحية اللغوية، فقد جاء في "لسان العرب" لابن منظور: "أنها مشتقة من الفعل "رؤى" ويقال رؤيتُ على أهلي رية، وقال ابن السكيت يقال رؤيت القوم أرويهم إذا استسقيت لهم"⁽²⁾.

كما عرّفها "الخليل بن أحمد الفراهيدي" في معجمه "العين": "الرواية؛ رواية الشعر والحديث، ورجل كثير الرواية والجمع "رواة"⁽³⁾.

جاء في كتاب الصحاح "للجوهري": "أنّ الرواية التفكير في الأمر، ويقال من أين ريتكم بالماء؟ أي من أين تروون الماء، ورويتُ الحديث والشعر رواية، فأنا راؤ، وتقول: "أنشد القصيدة يا هذا، ولا تقال أروها إلا أن تأمره بروايتها أي باستظهارها"⁽⁴⁾.

وعليه فالرواية تعني النقل والجريان لما هو مادي (الماء)، أو ما هو روحي (النصوص والأخبار).

ب- اصطلاحاً:

تعد الرواية من الأشكال الأدبية التي تحظى بشعبية كبيرة، وحضور واسع لدى جمهور عريض من القراء، والتي يسهل على أي منهم التعرف عليها بين العديد من الأشكال الأدبية الأخرى، وهي من أبرز التعبيرات الفنية التي ينضج الإحساس بالشخصية

¹ - صالح مفقودة : المرأة في الرواية الجزائرية، المرجع السابق، ص 11.

² - ابن منظور: لسان العرب، ج2، المرجع السابق، ص 271، 272.

³ - الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تحقيق وترجمة، عبد الحميد هنداي، ج2، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 2003، ص 165.

⁴ - عزيزة مريدن: القصة والرواية، (د.ط)، ديوان المطبوعات الجامعية، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1971، ص 14.

القومية، وتصوير الانطباعات، الكفاح والمعاناة، بشكل سجل هذه الشخصية ويبلورها ويبين ملامحها ومميزاتها⁽¹⁾.

"إنّ التعريف الاصطلاحي للرواية والذي يعني جنسا أدبيا محددًا يشمل أقسامًا متعددة، يسميها عبد المالك مرتاض أنواعًا، في حين يطلق على الرواية جنسا، على اعتبار أن لفظة جنس أعم وأشمل من النوع"⁽²⁾.

وبحديثنا عن الرواية، يجدر بنا التطرق إلى الأشكال القصصية المتمثلة في القصة (Nouvelle)، والقصة القصيرة (conte)، والتي تختلف الرواية عنها بعدة مميزات منها: "اتساع الرواية في أحداثها وشخصياتها، عدّا أنّها تشغل حيّزًا أكبر وزمنًا أطول وتتعدد مضامينها"⁽³⁾.

"والرواية حكاية (histoire)؛ من حيث كونها تحيل على الواقع المعيش وتتشابه معه، وهي خطاب (recite)؛ حيث تتطلب وجود راوٍ يروي الحكاية لقارئٍ يستقبلها، وإذن فنحن أمام طريقة معينة يقدم الرّاوي بها الأحداث"⁽⁴⁾.

وإضافة إلى التعاريف التي أوردناها يمكن أيضًا إيراد التعاريف التالية:

"هي رواية كاملة شاملة موضوعية أو ذاتية، تستعير معيارها من بنية المجتمع، وتفسح مكانًا لتعايش فيها الأنواع والأساليب، كما يتضمن المجتمع الجماعات والطبقات المعارضة جدًا"⁽⁵⁾.

أمّا معجم المصطلحات الأدبية "لفتحى إبراهيم" فقد جاء فيه أن الرواية "سرد قصصي نثري، يصور شخصيات فردية، من خلال سلسلة من الأحداث والأفعال

¹ - الصادق قسومة: نشأة الجنس الروائي بالمشرق العربي، ط2، دار الجنوب للنشر، تونس، 2004، ص 47.

² - عبد المالك مرتاض: الرواية جنسا أدبيا، مجلة الأعلام، تصدرها وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ع 11، 12 سنة 1986، ص 124.

³ - عزيزة مريدن: القصة والرواية، المرجع السابق، ص 14.

⁴ - صالح مفقودة: المرأة في الرواية الجزائرية، ط2، صدر عن وزارة الثقافة، الجزائر، 2009، ص 38.

⁵ - ميخائيل باختين: الملحمة والرواية، تقديم وتر: جمال شحيد، (د.ط)، كتاب الفكر العربي، بيروت، 1982، ص

والمشاهد، والرواية شكل أدبي جديد، لم تعرفه العصور الكلاسيكية والوسطى، نشأ مع البواكير الأولى لظهور الطبقة البرجوازية، وما صاحبها من تحرر الفرد من ربطة التبعية الشخصية⁽¹⁾.

هذا فيما يخص تقنيات الرواية مثل السرد، الشخصيات، الأفعال... أما بخصوص حجمها فإنّ الباحث المغربي حميد لحمداني يقول: "الميزة الوحيدة التي تشترك فيها جميع أنواع الروايات، هي كونها قصصًا طويلة".

ويضيف قائلاً: "وقد لاحظنا أنّ ما يعتبره أغلب النقاد في العالم العربي ككل رواية لا يقلّ في الغالب أيضا عدد صفحاته عن 80 صفحة من القطع المتوسطة"⁽²⁾.

ج- نشأة الرواية العربية:

يرى معظم الباحثين من بينهم سهيل إدريس، محمد يوسف نجم، محمد غنيمي هلال أنّ نشأة الرواية ترجع إلى تأثير الآداب الغربية، وأنها ظهرت أول ما ظهرت في القرن 19م، منقولة عن الآداب الأوربية، ثمّ محاكاة لبعض قوالبها وأشكالها الفنية، حتى استوت الرواية العربية على عمودها بفضل محاكاتها الرواية الأجنبية⁽³⁾.

كما يرى بطرس خلاق الرأي نفسه فيقول: لا يختلف اثنان في أنّ الرواية العربية نشأت في العصر الحديث، فناً مقتبسا من الغرب أو متأثرا به تأثرا شديدا⁽⁴⁾.

وما تزال قيد النمو والتطور، بمقدار ما يستوعبه كتابها ويناسب ظروف بيئاتها العربية من المصادر الأدبية العالمية المختلفة.

¹ - إبراهيم فتحي: معجم المصطلحات الأدبية، ع1، المؤسسة العربية للناشرين المتحدنين، تونس 1988، ص 176.

² - حميد لحمداني: الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي، (د.ط)، دار الثقافة، الرباط-المغرب، 1985، ص 80.

³ - أحمد سيد محمد: الرواية الانسيابية وتأثيرها عند الروائيين العرب (محمد ديب، نجيب محفوظ)، (د. ط)، المؤسسة الوطنية للنشر الجزائر، 1989، ص 23.

⁴ - بطرس خلاق: نشأة الرواية العربية بين النقد والإيديولوجية) الرواية العربية واقع وآفاق، أعمال ملتقى الرواية العربية الحديثة بالمغرب، ط1، دار ابن رشد للطباعة والنشر، بيروت، 1981، ص 17.

ويرفض فريق آخر من الباحثين الرأي السابق، بحجة أنه ليس من المعقول أن يصل لون من ألوان الأدب لدى أي أمة، إلى ما وصل إليه فن الرواية من تقدم في مثل هذا الوقت القصير، ما لم يكن له جذور، فالإنتاج الروائي المعاصر بلغ من الأصالة حدا يجعل من المذهل حقا أن يكون وليد عشرات من السنين فحسب، كما يجعل من الصعب على التفكير العلمي، أن يقبل ما يردده الكثير؛ من أن هذا الفن المستخدم في أدبنا العربي لا جذور له، فالمتتبع يرى بأن "الرواية لها جذور وأصول في الأدب العربي، الذي عرف هذا الفن، ممثلا في بعض ما جاء مبعوثا في كتب الجاحظ، وابن المقفع وما كتبه بديع الزمان الهمذاني"⁽¹⁾.

"فنشأة الرواية الحديثة وثيقة الصلة بالتراث العربي، كما تمثله السير الشعبية كسيرة عنتر، وسيرة الهلالية.. وغيرها إذ تعد مرحلة من مراحل النمو الطبيعي، لتطور الرواية خلال تاريخها القديم"⁽²⁾.

ويرجع الفضل في ظهور الرواية إلى عاملين أساسيين هما: الصحافة والترجمة. وبشأن الريادة في مجال الرواية، تشير إيمان القاضي "إلى المحاولة الرائدة التي قام بها سليم البستاني، الذي نشر محاولته الروائية على صفحات مجلة "الجنان" البيروتية وأسماها "الهيام في جنان الشام" عام 1870"⁽³⁾.

وكان له الفضل في شق الطريق أمام عدد كبير من الكتاب فيما بعد، وكان لإنشاء مجلات (المقتطف والهلال والمشرق) أثر واضح في تشجيع هذا الفن.

¹ - فاروق خورشيد: في الرواية العربية (عصر التجميع)، ط3، دار العودة بيروت، 1979، ص 09.

² - أحمد سيد محمد: الرواية الإنسانية وتأثيرها عند الروائيين العرب، المرجع السابق، ص 21.

³ - إيمان القاضي: السمات النفسية والفنية للرواية في بلاد الشام (1950-1985)، رسالة ماجستير، جامعة دمشق كلية الآداب، 1989، ص 02.

"وجاء بعد سليم البستاني جورجى زيدان وكذلك فرح أنطون، وولتفت إلى مصر فنجد محمد حسين هيكل، الذي كان من السباقين في كتابة الرواية (زينب) عام 1914 وتلاه (توفيق الحكيم)، في روايات متعددة مثل (يوميات نائب في الأرياف، عودة الروح..)"⁽¹⁾.
"وفي عام 1929 أصدر محمود تيمور روايته "نداء المجهول"، وللمازني محاولات روائية عديدة منها (إبراهيم الكاتب، ثلاثة رجال وامرأة)، ولا ننسى الكاتب السوري (معروف الارناؤوط) في روايته (سيد قريش، وعمر بن الخطاب) اللتين ألفهما بين عامي 1929-1936م"⁽²⁾.

"أما بقية الأقطار، فإنها عرفت نشأة الرواية بعد ذلك، ولم تعرفها في زمن واحد ذلك أن لكل بلد ظروفه، فقد ظهرت مثلاً في تونس سنة 1935م، لعلي الدعجاوي "جولة في حانات البحر الأبيض المتوسط"، وفي المغرب كان ظهور الرواية عام 1957م ممثلاً في رواية في الطفولة لعبد المجيد بن جلون"⁽³⁾.

"لقد استطاعت الرواية العربية في اقل من قرن، أن تعي رحلة القرون الثلاثة التي عاشتها الرواية الحديثة في أوروبا، كما استطاعت أن تستوعب الأشكال الروائية، وأن تهضمها وأن تخرج منها في النهاية برواية عربية، لها ملامحها واتجاهاتها التي وإن تلاققت في الملامح العامة مع بعض الاتجاهات الغربية، إلا أنها في النهاية اتجاهات خاصة لها ملامحها التي تنبع في النهاية من تجربة الروائي العربي"⁽⁴⁾.

¹ - عزيزة مريدن: القصة والرواية، المرجع السابق، ص 76-77.

² - المرجع نفسه: ص 77-78.

³ - إيمان القاضي: السمات النفسية والفنية للرواية في بلاد الشام، المرجع السابق، ص 2.

⁴ - السعيد الورقي: اتجاهات الرواية العربية المعاصرة، ط1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، مصر، 2009، ص 09.

ثانيا: المرأة العربية قبل الإسلام

1- مكانة المرأة العربية عند العرب قديما

أ- المرأة الملكة:

"إنَّ المرأة منذ فجر التاريخ حتى اليوم قد برهنت على نكاه عظيم، ودقة وإحساس تستثير الإعجاب، استطاعت أن تكون رئيسة وحاكمة وقائدة جيوش وسياسية محنكة.."⁽¹⁾ ولعل من بين النساء اللاتي تربعن على عرش الملك.

- بلقيس ملكة سبأ:

التي وردت قصتها في القرآن الكريم؛ حيث ذكرها الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾⁽²⁾، "كانت ملكة جليلة ذات رأي سديد وعقل راجح، أدارت شؤون مملكتها بشجاعة وحكمة وتبصر، وكانت ديمقراطية تستشير قومها في كل معضلة وتأخذ رأيهم في كل أمر"⁽³⁾ قالت: ﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴾⁽⁴⁾.

أما قومها فأخذتهم العزة والنفوان وأرادوها أن تحارب سليمان ولا تخضع له، ولكنهم تزلوا تحت أمرها، فقالوا: ﴿ قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴾⁽⁵⁾.

¹ - محمد بدر المعبدي: آداب النساء في الجاهلية والإسلام، المرجع السابق، ص4.

² - سورة النمل: الآية 23.

³ - سعد بوفلاقة: شعر النساء في صدر الإسلام والعصر الأموي، ط1، دار المناهل، بيروت، لبنان، 2004/1428، ص37.

⁴ - سورة النمل: الآية 32.

⁵ - سورة النمل: الآية 33.

"وكانت تتصف بالحكمة والدهاء، فأرسلت هدية إلى سليمان لتختبره وتجنب قومها حرباً قد تشب بينها وبينه، ولكنّه لم يقبل الهدية، فأدركت عظمتها فقررت الذهاب إليه وبدّلت بدين آبائها دين الله"⁽¹⁾.

- زنوبيا ملكة تدمر:

"ومن ملكات العرب قبل الإسلام، زينب أو الزباء بنت عمرو بن الظرب بن حسان بن أذينة، من بني السميدع، وقد تربعت على عرش الجزيرة والشام حقبة من الزمن، بعد مقتل أبيها عمرو وأحسنت السياسة"⁽²⁾.

"وقد خضعت لها القبائل وضرب بها المثل في العزة والكبرياء"⁽³⁾ وهذا ما يؤكده "مصطفى صادق الرافعي" حيث يقول: "...ملكة عربية لها عظمتها وقدرتها، لا تعوزها صلابة الرأي ولا مضاء العزيمة، ولا تنقصها قوة البأس ولا متانة الشكيمة، بل قامت تثبت للتاريخ أنّ المرأة التي تهز بيمنها سرير الطفل تستطيع أن تهز بيسراها العروش..."⁽⁴⁾.

"ومن ملكات العرب أيضاً في الجاهلية الفارغة زوجة عمرو وأخت الهدهاد وقد حكمت سبأ وريدان وحضرموت وغيرها من سنة 330 إلى 345م"⁽⁵⁾.

وقد ملكت نساء كثيرات غيرهن، في اليمن وكندة وبلاد الأنباط وغيرها.

وهذا إن دلّ على شيء، فإنّما يدل على علو مكانة المرأة العربية في الجاهلية

وأنّ العرب ملكوها عليهم، ولم يرو في ذلك غضاضة أو حرج.

¹ - سعد بوفلاقة: شعر النساء في صدر الإسلام والعصر الأموي، المرجع السابق، ص 37.

² - المرجع نفسه: ص 37-38.

³ - محمد بدر المعبدي: آداب النساء في الجاهلية والإسلام، المرجع السابق، ص 3.

⁴ - مصطفى صادق الرافعي: الإسلام انطلق لا جمود، (د.ط)، منشورات مكتبة الحياة، د.ب، 1959، ص 160.

⁵ - أحمد محمد الحوفي: المرأة في الشعر الجاهلي، ط2، دار الفكر العربي، مصر، (د.ت)، ص 529، 530.

ب- المرأة العربية الشاعرة:

يُقال: "ليس أحد من العرب إلا وهو يقدر على قول الشعر، طبع ركب فيهم قلّ قوله أو أكثر، فإن صدق هذا على رجالهم صدق على نساءهم، إذ الطبع واحد واللغة متفقة والغريزة لا تختلف"⁽¹⁾.

وفي العصر الجاهلي نجد أسماء شاعرات كثيرات نذكر بعضا منهن:

أول ما يلفت النظر من شعر النساء في الجاهلية، القصيدة المشهورة التي رثت بها جليلة بنت مرة الشيبانية زوجها كليباً، الذي قتله أخوها جساس وهي من أبدع الشعر منها:

جل عندي فعلُ جساسٍ فيا	حسرتي عما انجلت أو تنجلي
لو بعينٍ فُقت عيني سوى	أختها فانفقات لم أحفل
يا قتيلاً قوّض الدهرُ به	سقفُ بيتيّ جميعاً من علّ
هُدِمَ البيتُ الذي استحدثتهُ	وانثنى في هدمِ بيتي الأولِ
يشتفي المدرك بالثار وفي	دركي ثأري تُكل المثل
ليته كان دمي فاحتلبوا	بدلاً منه دماً من أكلّي
إنني قاتلةٌ مقتولةٌ	ولعل الله أن يرتاح لي ⁽²⁾

وهذه زرقاء اليمامة^(*) (عنز) التي كانت شاعرة وعرافة، وهي التي تقول تحذر

قومها من عدوّ يبيت لهم:

خذوا حذرکم یا قوم ینفعم	فليس ما قد أرى بالأمر يحتقر
إنی أرى شجراً من خلفها بشر	وكيف تجتمع الأشجار والبشر ⁽³⁾

¹ - صادق الرافعي: تاريخ آداب العرب، ج3، (د.ط)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1974، ص 64.

² - سعد بوفلاحة: شعر النساء في صدر الإسلام والعصر الأموي، المرجع السابق، ص 48.

^(*) زرقاء اليمامة: من بني جديس من أهل اليمامة، يضرب بها المثل في حدة النظر وجودة البصر، كانت تبصر الشيء من مسيرة أيام أو أكثر كما زعموا.

³ - سعد بوفلاحة: شعر النساء في صدر الإسلام والعصر الأموي، المرجع السابق، ص 49.

"وكان وحيه عندهن ما عُرفت به المرأة من عاطفة صادقة، وأروع ذلك الشعر في الرثاء، فإنهن وإن كنّ شاركن في جميع أبواب الشعر، إلا أنّ باب الرثاء قد حلقن فيه... لأنه نوع من النواح والبكاء، وسلاح المرأة دموعها وهي أول شيء تلجأ إليه إذا حزّ أمر أو ألم بها مكروه.."⁽¹⁾.

وكانت الخنساء^(*) أرثى شاعرات العرب، وأفرزهن شعرا، وديوانها يكاد يقتصر

على الرثاء، ومن عيون شعرها في رثاء أخيها صخر قولها:

يَذْكُرُنِي طُلُوعُ الشَّمْسِ صَخْرًا وَأَذْكُرُهُ لَكَلَّ غُرُوبِ شَمْسِ
وَلَوْلَا كَثْرَةُ الْبَاكِينَ حَوْلِي عَلَى إِخْوَانِهِمْ لَقَتَلْتُ نَفْسِي
وَمَا يَبْكُونَ مِثْلَ أَخِي وَلَكِنْ اعْزَيْ النَّفْسَ عَنْهُ بِالتَّأْسِي
فَلَا وَاللَّهِ لَا أَنْسَاكَ حَتَّى أَفَارِقَ مَهْجَتِي وَيَشَقَّ رَمْسِي⁽²⁾

فهذه الكلمات حزينة دامعة تثير المشاعر، فهي تتذكر أخاها صخرا في الصباح

وتتذكره في المساء، ولولا كثرة الباكين حولها لقتلت نفسها حزنا عليه...

ومن جيد شعر النساء في الجاهلية أيضا هذه الأبيات لصفية الباهلية، في رثاء

أخيها الوحيد الذي مات شابا:

كُنَّا كَغُصْنَيْنِ فِي جُرْثُومَةٍ بَسَقَا حِينَا عَلَى خَيْرِ مَا يُنْمِي لَهُ الشَّجَرُ
حَتَّى إِذَا قِيلَ قَدْ طَالَتْ غُرُوقُهُمَا وَطَابَ غَرْسُهُمَا وَاسْتَوَسَقَ الثَّمَرُ
أَخْنَى عَلَى وَاحِدٍ رَيْبُ الزَّمَانِ وَمَا يُبْقِي الزَّمَانُ عَلَى شَيْءٍ وَلَا يَذُرُّ⁽³⁾

¹ - محمد بدر معبدي: أدب النساء في الجاهلية والإسلام، المرجع السابق، ص 11.

^(*) هي تماضر بنت عمرو، بن الحارث بن الشريد، من بني سليم، أشهر شاعرات العرب، عاشت أكثر عمرها في الجاهلية وأدركت الإسلام فأسلمت، أبدعت في شعر الرثاء، توفيت سنة 24 هـ.

² - ديوان الخنساء: ص 50.

³ - سعد بوفلاحة: شعر النساء في صدر الإسلام والعصر الأموي، المرجع السابق، ص 50-51.

وغير هذا الكثير، ويمكن أن نقول باختصار أنّ هناك ما يقارب أكثر من مئة وثلاثين شاعرة، وجدن في العصر الجاهلي، وهذا ما يجعلنا نحكم على أنّ الشعر لم يكن وقفا على الرجال فقط.

ج- المرأة العربية المحاربة:

"لقد شاركت المرأة الرجل في الشجاعة والبرسالة والإقدام، فاللواتي اشتهرن في الجاهلية بالبرسالة كثيرات، منهن: رقاش فقد كانت في طي وكانت تغزو وبقومها دهرا طويلا، ويعتزون بقوتها ويتيمينون برأيها، ويطالعون النجاح من خفقات سيفها، ووميض غريمتها وقد أغارت طي بزعامتها وقيادتها على إياد ابن نزار يوم "رحى جابر"، فهزمتهم وغنمت وسبت"⁽¹⁾.

"وفي معركة أحد وقع لواء قريش في ساحة القتال، فلم يقدر رجل على حمله، حتى أخذته امرأة منهم اسمها عمرة بنت علقمة الحارثية فرفعتهم لهم"⁽²⁾.

"وفي المعركة نفسها حرّضت "هند بنت عتبة" وصواحبها، الرجال على الاستبسال وكان وجود النساء مع الرجال في الحرب، يحوّل دون الفرار والتراجع، وقد كنّ يحضن على الثبات والإقدام"⁽³⁾.

"والحقيقة أنّ هذا الدور النسوي في القتال، يدخل في سياق ما يسمى اليوم بالتعبئة المعنوية للقوى المقاتلة، لاسيما إلهام الرجال في ساعات الضيق والشدة، وإثارة الحمية والحماسة والشجاعة فيهم"⁽⁴⁾.

هكذا كانت النساء زمن الحرب، ما بين محاربة وبين مرافقة للرجال الفرسان، تشدّن عزائمهم بما ينشدن من أناشيد حماسية، وإليهنّ تعود مهمة رثاء القتلى والحض على الأخذ بثأرهم والانتقام لهم.

¹ - أبو هلال العسكري: جمهرة الأمثال، ج1، (د.ط)، المطبعة الخيرية، مصر، 1310هـ، ص 313.

² - سعد بوفلاحة: شعر النساء في صدر الإسلام والعصر الأموي، المرجع السابق، ص 32.

³ - المرجع نفسه: ص 32.

⁴ - خليل أحمد خليل: المرأة العربية وقضايا التغيير، المرجع السابق، ص 42.

2- الصفات الأخلاقية للمرأة العربية قبل الإسلام

اتصفت المرأة العربية بعدد الصفات في جاهليتها لعل أهمها:

أ- نجدة الملهوف:

"كانت المرأة الجاهلية تتجد الملهوف، وتجير الهارب، كما فعلت "فكيهة بنت قتادة" مع السُّليك بن السلكة^(*) الذي غزا بكر بن وائل، ولما شعروا به وطارده، دخل بيت فكيهة مستتجدا فأجارته وقامت دونه في وجه قومها... وظلت تتنازل دونه، فكاثروها فكشفت خمارها عن شعرها وصاحت بإخوتها، فأقبلوا ودافعوا عنه حتى نجا"⁽¹⁾.

"وأجارت "خماعة بنت عوف" مروان القرظ بن زباع الذي غزا بكر بن وائل فأسروه وكان قد أساء إلى عمرو بن هند ملك العرب وطاغية الحيرة، فأراد أن ينتقم منه، ولكن اضطر إلى العفو عنه، وما كان يفعل لولا أن أجارته خماعة"⁽²⁾.

" وفي حرب الفجار بين كنانة وقيس، جعل مسعود بن مالك الثقفي خباء زوجته سُبَيْعة بنت عبد شمس بن عبد مناف القرشية، حرما من دخلة من أعدائه قريش فهو آمن، فلما انهزمت قيس، وغلب مسعود زوجها قال لها ابن أخيها حرب بن أمية: من تمسك بأطناب خبائك فهو آمن، ومن دار حوله فهو آمن، فلم يبق قيسي إلا اعتصم بها ودار حول خبائها"⁽³⁾.

ب- الكرم:

"اشتهر العرب منذ الجاهلية بالكرم وحسن الضيافة، وأجواد العرب في الجاهلية ثلاثة: حاتم الطائي، وهرم بن سنان، وكعب بن مامة، وحاتم أشهرهم ذكرا" وهذا حاتم

(*) هو السُّليك بن عمير، التميمي، والسلك أمه، شاعر جاهلي، صعلوك، وكان فتاكا من شياطين العرب، له وقائع وأخبار كثيرة.

¹ - محمد بن حبيب المجير: الخبر والشعر، ط1، مطبعة، المكتب التجاري، بيروت- لبنان، (د.ت)، ص 433-434.

² - سعد بوفلاقة: شعر النساء في صدر الإسلام والعصر الأموي، المرجع السابق، ص 35.

³ - أبو فرج الأصفهاني: الأغاني، ج22، (د.ط)، دار الكتب، المؤسسة المصرية العامة، مصر، 1409هـ، ص 73،

يعترف بأنه إنّما ورث الجود عن أمه^(*) وكانت لا تبقي عندها على شيء إلا جادت به على العفاة السائلين⁽¹⁾.

"وكانت سفانة ابنة حاتم كأبيها وكجدها في الكرم، فكان أبوها يعطيها الصرمة^(**) فتعطيها الناس، فقال لها ذات يوم: يا بنية إنّ القوتين إذا اجتمعا في المال أتلّاه، فإمّا أن أعطي وتمسكي، أو أمسك وتعطي، فإنه لا يبقى على هذا شيء، فقالت: والله لا أمسك أبدا: فقال: وأنا والله ما أمسك أبدا، قالت فلا نتجاوز فقاسمها ماله وتباينا"⁽²⁾.

"وكانت بثينة ابنة مرداس من شاعرات العرب وكرمائهن، وكان زوجها كريما لم يوجد أكرم منه في زمانه، قيل إنه أتاه أخو امرأته يوما، فأعطاه بغيرا من إبله، وقال لامرأته: هاتي حبلا يقرن به ما أعطيناه إلى بغيره، ثم أعطاه بغيرا آخر وقال: هاتي حبلا، ثم أعطاه ثالثا فقال هاتي حبلا، فقالت: ما بقي عندي حبل، فقال عليّ الجمال وعليك الحبال، فرمت إليه خمارها وقالت اجعله حبلا.

وفي الجملة، فإنّ المرأة الجاهلية شاركت الرجل في الكرم والضيافة، وإن كانت الأنباء التي وصلتنا عن كرمها قليلة، بالقياس إلى ما وصلنا عن كرم الرجل لأنّها أقصر باعا منه في هذا المجال ذلك لأنّ مالها أقل، وهي في أغلب الأحيان لا مال لها... ثم إنّ اختلاطها بالرجال محدود وهذا لا يمهد لها الطريق إلى الشهرة بالكرم"⁽³⁾.

(*) أمه: غنيمة بنت غنيفة، من أجود النساء في الجاهلية وأقرهن للضيف.

¹ - عرفان محمد حمور: المرأة والجمال ولحب في لغة العرب، المرجع السابق، ص 3

(**) الصرمة: القطعة.

² - القالي: (أبو علي إسماعيل بن القاسم): نيل الأمالي والنوادر، ط2، دار الكتب، مصر، 1991، ص 23.

³ - أحمد محمد الحوفي: المرأة في الشعر الجاهلي، المرجع السابق، ص363.

ج- العفة والأنفة:

اشتهرت المرأة الجاهلية بالأنفة والعفاف، وكان حرصها على شرفها واعتدادها بكرامتها، من الأمور التي استفاضت بها المصادر التي عُنيت بحوادث ذلك العصر. وذكر صاحب الأغاني أن فاطمة بنت الخرشب، كانت إحدى ثلاث عرفن "بالمنجبات" وكان لها سبعة أبناء... وذات يوم أغار حمل بن بدر الفزاري على قبيلة بني عبس، التي تنتمي إليها فاطمة، فأسرها... فلما أيقنت أنه ذاهب بها رمت بنفسها على رأسها من البعير فماتت، خوفاً من أن يلحق ببنيها عار منها"⁽¹⁾.

وما قصة "ليلى بنت اللكيز" الملقبة بالعفيفة، إلا مثال حي مجسم لعظيم الأنفة وكامل العفة، فقد كانت من أجمل نساء زمانها، ولما علم ملك الفرس ما هي عليه من جمال ساحر، اختطفها وحاول الزواج بها، فامتعت وعرض عليها جميع المشتريات والمرغبات، وخوفها بجميع العقوبات وعاملها بالتعذيب... فأبّت، وخيرته بين أن يقتلها أو يعيدها إلى أبيها..."⁽²⁾.

"والحوادث الدالة على أنفتها وشرفها كثيرة، منها أن "الفاكه بن المغيرة" شك في زوجته هند بنت عتبة، وكانت عفيفة، وقد برأها الكاهن، فأراد الفاكه على أن تعود إليه فرفضته، وتزوجها أبو سفيان فولدت منه معاوية الخليفة الأموي المعروف.

وقصتها مع الرسول ﷺ معروفة، لما أخذ البيعة على النساء واشترط عليهن ألا يسرقن ولا يزنين، فقالت له هند: وهل تزني الحرة وتسرق يا رسول الله؟"⁽³⁾.

كانت هذه أهم الصفات الحميدة، التي اتصفت بها بعض نساء الجاهلية والتي شاركت فيها الرجل.

¹ - أبو فرج الأصفهاني: الأغاني، ج14، ص 116، 119.

² - سعد بوفلاحة: شعر النساء في صدر الإسلام والعصر الأموي، المرجع السابق، ص 28.

³ - المرجع نفسه: ص 28.

3- مظالم الجاهلية للمرأة العربية:

كان وضع المرأة قبل الإسلام، في جملته وضعاً متدنياً، فقد كانت تعاني جملة من المظالم جعلت من واقعها واقعا مريرا لعل من أبرزها:

أ- وأد البنات:

"كانت ظاهرة الوأد^(*) في الجاهلية، منتشرة عند بعض القبائل بصورة بشعة تشمئز منها النفوس، وتدمى لها القلوب.

وكان الوأد يجري مباشرة بعد الولادة، وربما انتظر والدها حتى تغدو سديسية.. وقد يُؤجل وأدها حتى سن البلوغ، وكانت قريش تئد بناتها في جبل أبي دلامة"⁽¹⁾.

"إنّ طبيعة نظام القبيلة وقتئذ، كانت قائمة على الرغبة في البنين دون البنات، لأنّ البنات إذا كثرن كنّ عبئا على الرجال، فما هن بقادرات على منع الديار، وحماية الدّمار ولا فيهن غناء حين يجد الجد وتتأزم الأمور"⁽²⁾.

"ويبدو أنّ عادة الوأد لم تكن متفشية في كل قبائل العرب، وإنّما كانت مقصورة على بعض القبائل فقط منها: ربيعة، وكندة، وطيء، وتميم، وبكر بن وائل، وكنانة وقريش وغيرها... وإلاّ لكان اندثر وجود الإنسان العربي على مر العصور وانقرض"⁽³⁾.

"وقد قيلت في تعليل الوأد عند العرب أقوال عدّة: منها أنهم كانوا يئدون البرشاء والكسحاء والزرقاء تشاؤما منهن، أو قنوطا من زواجهن مع وجود إحدى تلك العاهات فيهن... ومنهم من يرى "أنّ الوأد جزء متخلف من عبادة قديمة، كانوا يقدمون فيها الإناث قرابين إلى الآلهة، على نحو عروس النيل التي كان المصريون القدماء يلقنوها في نهر النيل، ضحية وتقربا إلى الآلهة..."⁽⁴⁾.

(*) الوأد: هو دفن الأب لابنته وهي حية، عن طريق دسها في التراب.

¹ - سعد بوفلاحة: شعر النساء في صدر الإسلام والعصر الأموي، المرجع السابق، ص 43، 44.

² - عرفان محمد حمور: المرأة والجمال والحب في لغة العرب، المرجع السابق، ص 28.

³ - سعد بوفلاحة: شعر النساء في صدر الإسلام والعصر الأموي، المرجع السابق، ص 44.

⁴ - عرفان محمد حمور: المرجع السابق، ص 29.

وذكر بعض الباحثين "أنّ العرب كانت تُؤدُّ البنت لشدة الغيرة ومخافة العار، إذا سُبيت أو انتهكت حرمتها... ومنهم من يقول الملائكة بنات الله، فألحقوا البنات به ويقتلونهن وهم خزاعة وكنانة"⁽¹⁾.

وقد عزا الله سبحانه وتعالى هذه العادة إلى الفقر، فنهى عن ذلك بقوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾⁽²⁾.

"هذا هو الدرك الذي وصل إليه العرب في تعاملهم مع المرأة، إذ لم يُقلقوا أنفسهم في البحث لها عن فلسفة خاصة، بل آثروا حرمانها من الحياة بالكلية، فدفنوها وهي حية دون أي شفقة أو رحمة، وذلك فعل لا تُقدم عليه الحيوانات فكيف ببني البشر"⁽³⁾.

ب - السبي:

إلى جانب عادة الوأد القبيحة تبرز عادة أخرى ألا وهي السبي "والسبي معناه: النهب وأخذ الناس عبيدا...، والسبيبة: المرأة المنهوبة"⁽⁴⁾، "والأمة: المرأة المملوكة، أي الجارية المسترقة، خلاف الحرة"⁽⁵⁾.

"وكان السبي من أكبر موارد الرقيق عند العرب في الجاهلية، فقد كانت القبائل العربية تشن الحروب والغارات على بعضها البعض، فتُسبى النساء... وكان للعرب أيضا غارات على الفرس والروم، يستلبون فيها كثيرا من السبايا، بالإضافة إلى الجواري التي كان يمنحها أكاسرة الفرس، وأباطرة الروم على سبيل الهدايا إلى بعض الوفود العربية، ولما كان وجود أعداد كبيرة من الرقيق في المجتمع الجاهلي يتطلب إقامة أسواق

¹ - أحمد محمد الحوفي: المرأة في الشعر الجاهلي، المرجع السابق، ص 294.

² - سورة الإسراء: الآية 31.

³ - جنان التميمي: مفهوم المرأة بين نص التنزيل وتأويل المفسرين، ط1، دار الفارابي، بيروت، لبنان، 2012، ص 31.

⁴ - ابن منظور: لسان العرب، ج1، مادة سبي، ص 253.

⁵ - المصدر نفسه، مادة أما، ج1، ص70.

خاصة، فقد فتحت لها أسواق منظمة وكانت مكة من أهم هذه الأسواق، وكذلك سوق عكاظ⁽¹⁾.

وكانت تجارة الرقيق ولاسيما الجواري صناعة رائجة، تُدر كسبا باهظا لأصحابها فاحترفها كثير من النخاسين^(*).

"أما أعمال الإماء فكان منهن جوارٍ يخدمن الشريقات، قد يرعين الإبل والأغنام يقمن على شؤون منازلهن، ورعاية أمورهن... كما كن وسيلة للمتعة يتمتع بهن سادتهن"⁽²⁾، "وإذا استولدوهن لم ينسبوا إلى أنفسهم أولادهن، إلا إذا أظهروا بطولة تشرفهم على نحو ما هو معروف عن عنتره بن شداد، فإن أباه لم يلحقه بنسبه إلا بعد أن أثبت شجاعة فائقة ردت إليه اعتباره"⁽³⁾.

وكان بعضهم يكره الإماء^(**) على البغاء في أماكن معروفة، ويأخذ أجورهن قال تعالى: ﴿ وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّبَتْنِغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾⁽⁴⁾.

"وكان منهن القيان^(***) اللاتي كانت تموج بهن قصور المناذرة والغساسنة، وبيوت أشرفها، يضربن على المزهر وغيره، وكن منتشرات بكثرة في حانات الحيرة التي كان يؤمها طلاب اللذة، وعشاق اللهو لينعموا بسماع الغناء..."⁽⁵⁾.

1- سعد بوفلاحة: شعر النساء في صدر الإسلام والعصر الأموي، المرجع السابق، ص 45.

(*) النخاسين: الواحد نخاس، وهو تاجر العبيد أو الرقيق.

2- سعد بوفلاحة: شعر النساء في صدر الإسلام والعصر الأموي، المرجع السابق، ص 46.

3- شوقي ضيف: تاريخ الأدب، العصر الجاهلي، ط24، دار المعارف، القاهرة، مصر، (د.ت)، ص 72.

(**) الإماء: ج أمة، المرأة المملوكة، عكس الحرة.

4- سورة النور: الآية 5.

(***) القيان: ج قينة، وهي الأمة المغنية.

5- سعد بوفلاحة: شعر النساء في صدر الإسلام والعصر الأموي، المرجع السابق، ص 46.

ج- الظلم والاستبداد

إنَّ أي شيء يمنح المرأة في المجتمع العربي الجاهلي، بعد السماح لها بالحياة هو من سبيل التفضل عليها، ولا حقوق لها البتة بل هي مجرد متاع، حتى في الطعام إذ أنَّ بعض المأكولات محلل للذكور ومحرم على الإناث⁽¹⁾، يقول تعالى: ﴿ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مِنْ مَيْتَةٍ فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفِهِمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾⁽²⁾.

أما بشأن حق الإرث والكسب وتوزيع المال والثروة، فلم يكن للمرأة في الجاهلية الحق في الإرث، و"إذا مات الزوج فإن الأولاد لهم حرية التصرف بالزوجة، إن شاءوا زوجوها لأحدهم أو زوجوها لمن يرغبون فيه"⁽³⁾.

"فهم لم يكتفوا بحرمانها من الميراث فحسب، بل أصبحت المرأة في حد ذاتها حصة من الميراث تنقل من الآباء إلى الأبناء.

وقد وردت عديد الآيات القرآنية التي تنبه إلى هذا الحق لقوله تعالى: ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ ﴾⁽⁴⁾.

هذا عدا عن تعدد الزوجات الذي كان بلا حدود، ولا شك في أن الزوجات اللاتي يصل عددهن إلى العشرات والمئات أحيانا، زوجات تعيسات جدا"⁽⁵⁾.

¹ - جنان التميمي: مفهوم المرأة بين نص التنزيل وتأويل المفسرين، المرجع السابق، ص 31.

² - سورة الأنعام: الآية 139.

³ - فؤاد حيدر: المرأة في الإسلام وفي الفكر الغربي، ط1، دار الفكر العربي، بيروت، 1992، ص 116.

⁴ - سورة الأنعام: الآية 127.

⁵ - سعد بوفلاحة: شعر النساء في صدر الإسلام والعصر الأموي، المرجع السابق، ص 43.

ثالثا: المرأة العربية في العصر الإسلامي.

1- المرأة العربية في صدر الإسلام

"مع بعثة الرسول ﷺ، انتهت كل تلك العادات التي سادت في العصر الجاهلي، وانتصف الإسلام للمرأة التي بخس حقها العرب، وصار كتاب الله هو القول الفصل في قضية المرأة، فلا وأد للبنات ولا بغاء ولا تمييز بين الذكر والأنثى وحقوقها متساوية مع حقوق الرجل، والاختلاف إلا في توزيع المهام بينهم كل بما يناسبه والأفضلية بينهم تكون بالأعمال الصالحة"⁽¹⁾ لقوله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾⁽²⁾. وقال أيضا: ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾⁽³⁾.

"ولعل من أعظم الحقوق التي اكتسبتها المرأة من القرآن الكريم، أنه دفع لعنة الأبدية ووصمة المرذول، فمنحها كما منح زوجها التوبة والغفران، عندما وسوس لهما الشيطان"⁽⁴⁾ قال تعالى: ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوَاتِحِهِمَا ﴾⁽⁵⁾.

"وأوصى الدين بإكرام المرأة أما وبناتنا وزوجة، والإحسان إليها فحضر كثيرا على إكرام الأم"⁽⁶⁾، قال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ ﴾⁽⁷⁾.

¹ - جنان التميمي: مفهوم المرأة بين نص التنزيل وتأويل المفسرين، المرجع السابق، ص32

² - سورة النحل: الآية 79.

³ - سورة النساء: الآية 124.

⁴ - عباس محمود العقاد: المرأة في القرآن الكريم، (د.ط)، الكتاب العربي، بيروت، 1967، ص 53.

⁵ - سورة الأعراف: الآية 20.

⁶ - سعد بوفلاحة: شعر النساء في صدر الإسلام والعصر الأموي، المرجع السابق، ص 56.

⁷ - سورة لقمان: الآية 14.

"وجعل الإسلام المهر حقا للمرأة، ونهى عن مسه بأي شكل من الأشكال فقال تعالى: ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾" (1).

"وحض الإسلام على بقاء الحياة الزوجية، إذا كان في بقاءها الخير والسعادة، لأن الزواج في الإسلام عقد مؤبد، يرتبط به الرجل بالمرأة ارتباطا مقدسا، كله حب وحنان ومودة" (2)، لقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾" (3).

"إن الإسلام جعل المرأة في أمان، وجعل لها حقا في الإرث، ورفع من مستواها الإنساني والاجتماعي، حتى يتحقق التكامل والتعادل بين الجنسين، لأن الأمة الإسلامية لا تنهض إلا بالتعاون والانسجام بين جميع المؤمنين والمؤمنات" (4)، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَاتِنِينَ وَالْقَاتِنَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَّصِدِقِينَ وَالْمُتَّصِدِقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (5).

"إن الإنسان لا يستطيع أن يعيش خارج إطار الحياة الاجتماعية، وتعتبر الأسرة الركيزة الأساسية في بناء المجتمع، وقد أشار القرآن الكريم إلى أهمية الأحاسيس والمشاعر المشتركة بين الزوج والزوجة، إن الرجل يحتاج إلى المرأة كأم ويعاملها كأخت ويعاشرها كزوجة ويرعاها كبنت، وهي كل ذلك تأنس به وتفنقر إلى عطفه وتحن

1- سورة النساء: الآية 4.

2- سعد بوفلاقة: شعر النساء في صدر الإسلام والعصر الأموي، المرجع السابق، ص 59.

3- سورة الروم: الآية، 21.

4- فؤاد حيدر: المرأة في الإسلام وفي الفكر الغربي، المرجع السابق، ص 120.

5- سورة الأحزاب: الآية 35.

إلى محبته، إن القرآن يحث الرجل على التتبه إلى ضعف المرأة، وأن يعاملها المعاملة الحسنة بعيدا عن التحقير والانتقاص"⁽¹⁾.

"لقد سيطر الرجل على المرأة، فأخطأ كل الخطأ في حقها، وفي حق الوطن وفي حق نفسه، وهو حين حرّمها حق الحرية الناجم عن إنسانيتها حرم نفسه ومجتمعه حق التطور، والتقدم والعيش الأفضل"⁽²⁾.

"فإذا ما رجعنا إلى أقدم ما نعرف من عصور التاريخ، رأينا المرأة ذات مكانة وشأن، لقد شاركت الرجل حياته وكفاحه منذ بداية المجتمع الإنساني"⁽³⁾.

"فالإسلام يجلّ المرأة ويرفع قدرها، حتى لنراها في الصدر الإسلامي تشارك في الأحداث السياسية، على نحو ما هو معروف عن موقف السيدة عائشة أم المؤمنين في حروب علي وطلحة والزبير، وكانت هي نفسها مصدر كبيراً من مصادر الحديث النبوي وهدى الرسول الكريم"⁽⁴⁾.

"إنّ المرأة العربية ليست قابلاً في التاريخ، وإنّ الرجل العربي ليس هو وحده الفاعل فبين الفاعل والقابل علاقة جدلية عميقة، والمرأة العربية شيمة الرجل، اضطلعت بذور الفاعل القابل معاً لهذا من الضروري ومن العدالة إبراز السمات المميزة للفاعلية النسائية العربية من خلال:

أولاً: سعت المرأة لبث الدعوة الإسلامية، ونشر الأفكار الدينية والأخلاقية والسياسية الجديدة، ونذكر على سبيل المثال ممارسة التبشير الديني السياسي، شيمة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت الخطاب.. الخ"⁽⁵⁾.

¹ - فؤاد حيدر: المرأة في الإسلام وفي الفكر الغربي، المرجع السابق، ص 139.

² - لينين: حول تحرير المرأة تعريب زينب نبوة، ط1، دار الجماهير العربية، دمشق، (د.ت)، ص 2.

³ - نعيمة شوفان: المرأة منذ العصر الحجري والمرأة في الإسلام كإنسان، ط1، دار الفارابي، بيروت، 2011، ص 8.

⁴ - خليل أحمد خليل: المرأة العربية وقضايا التغيير، المرجع السابق، ص 54.

⁵ - المرجع نفسه: ص 54.

"ثانياً: انحصر الدور التحريضي الذي لعبته المرأة في حض العرب على القتال في سبيل الله ونشر الدعوة وعلى سبيل المثال: مما قالت الخنساء في تحريض أبنائها على القتال.
ثالثاً: شاركت المرأة في أشكال القتال المتنوعة، من الغزو إلى الفتح والجهاد وتراوحت أدوارها في الحروب بين صنع الطعام ومداواة الجرحى والعناية بالمرضى والمشاركة المباشرة في عمليات القتال"⁽¹⁾.

2- المرأة العربية في العصر الأموي:

لقد عرف وضع المرأة تدهوراً كبيراً، ولم يبق على حاله بسبب اختلاط العرب بغيرهم من الأعاجم، فالعهد الأموي عرف اتساع طبقة الموالي^(*) الذي تبعه تحول اجتماعي خطير؛ نظراً لتعدد الذهنيات المتعارضة مع نهج العرب الأحرار، مما عاد بالسلب على وضع المرأة العربية "لقد أعاد الرجال رفع سيوف وصاياهم فوق النساء معتبرين المرأة قاصرة، وأنها متعة للرجل السيد... كما لعب المفهوم الإسلامي "انكحوا ما طاب لكم من النساء"⁽²⁾، "دوره إلى أبعد حد ممكن، فصار الرجل يتمتع شرعاً بأربع نساء ويتمتع بعدد لا محدود من السراري، كما استعمل أسلوب الطلاق كوسيلة للاستزادة في النساء، ومن هنا أخذ أكثر مسار انكماش المرأة العربية وعودتها إلى الخدمة المنزلية وخضوعها لتقاليد اجتماعية قاسية"⁽³⁾.

¹ - خليل أحمد خليل: المرأة العربية وقضايا التغيير، المرجع السابق، ص 55.

^(*) الموالي: يطلق على أولئك الذين اتصلوا صلة بسيد عربي، وهي صفة متشابهة لما عهدته المجتمعات العربية قبل الإسلام... الولاء بعبد عربي وهي صفة متشابهة لما عهدته المجتمعات العربية قبل الإسلام.

² - المرجع نفسه: ص 63.

³ - المرجع نفسه: ص 64.

3- المرأة العربية في العصر العباسي:

"لقد عرف العصر العباسي انقلابا كبيرا مبني على نتائج الانقلاب الأموي مسجلا للإنسان العربي انحطاطا عسكريا كبيرا وللمرأة العربية تحولا خطيرا جدا إذ أصبحت من جملة سلع التجارة ونظام الحريم"⁽¹⁾.

"إنّ مجتمع كهذه يؤسسه الذكور لقهر النساء، وينتج ثقافة مؤذية وقاتله للمرأة، لا يمكنه إلا أن ينعم بالانحطاط والركود والانهيال، لأجيال كثيرة، إنّ قضية المرأة العربية الأولى في العصر العباسي؛ هي قضية النظام الاجتماعي بالذات، الذي أخذ يتفكك من أنظمة قطاع وحريم وموالي، إلى أنظمة قهر تجرف النساء كالقطيع، لقد صار الرجال الواقفون ضد المرأة وحقوقها، هم المستفيدون من وضعها العبودي، فالبلاد امتلأت من سباياهم وجواريمهم"⁽²⁾.

"إنّ الخليفة المتوكل كان يعاشر 3000 جارية، وأتته أصر بفصل الرجال عن النساء في الولائم والحفلات العامة، ولقد تقام سجن المرأة وانحطاطها في العصر العباسي، مع فرض قانون منع النساء من مخالطة الرجال بتاتا، فصار الرجال يسد الكوة وثقوب الجدار؛ كي لا يتطلع الرجال إلى النسوان، ويذكر أن الرواة أنّ معاذ رأى امرأته تطل من الكوة فضربها، وكان قمع النساء تحت شعار انحطاطي مجرم "جنبوهن الكتابة" واعتبار المرأة سببه تستحق التضيق والحبس في المنزل، وإسكات النساء إذا ارتفع صوتهن، مدافعا عن وجود المرأة العربية وحقها في الحياة، بالقول: **أُسكتن فإنما أنتن لُعب**"⁽³⁾ "وارتفعت موجات القهر والعداء للمرأة العربية، وبدأت تتصاعد حملات ترمي إلى تدمير المجتمع العربي؛ من خلال تدمير الأسرة العربية الحرة، وتقويض المرأة العربية وحدها، فالجميع مسؤولون عن تلك الحالة العبودية، التي كان النساء من أولى ضحاياها

¹ - خليل أحمد خليل، المرأة العربية وقضايا التغيير، المرجع السابق، ص 69.

² - المرجع نفسه: ص 72.

³ - المرجع نفسه: ص 72.

وإنّ وضعا طبقيًا عبوديا كهذا؛ يُتاجر فيه بكل شيء ويباع فيه كل شيء، لا يمكنه أن يكون صالحا لحياة امرأة معاصرة، بثقافة رجعية وانحطاطية، وعلى سبيل مثالاتها: (1)

"إياك يا بُني ومشاورة النساء

فإنّ رأيهن إلى الأفن

وعزّ منهن إلى الوهن

واكفف عليهن من أبصارهن بحجبك إياهنّ

وإن استطعت ألا يعرفن غيرك فافعل

ولا تطل الجلوس معهن فيهلكنك وتملّهن" (2).

4- المرأة العربية في العصر العثماني:

"لقد ظهر العهد العثماني مع انهيار الخلافة العربية، وتفاقم التخلف والجهل، وتزايد استعباد المرأة في المجالات كافة، فخرمت البنات من القراءة والكتابة، وباتت المرأة موضوع أقاويل وإشاعات، حُكْمها حُكْم المملوك التابع، فهي كالمملوكة للزوج محجوزة له في مرتبة وسطى بين الأحرار والعبيد، ومما يؤسف له؛ أنه رُفِع في كتب التدريس العثمانية شعار "القبر ولا المدرسة" (3).

"إنّ انهيار الأنظمة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، في العهد العثماني الاستعماري، دعا إلى استعباد العرب عموما، وإلى إنزال المرأة منزلة أداة اللهو والترفيه ففرض عليها الحجاب والحذر، والعزل عن الرجل، إلا أنّ تطور الاقتصاد ونمو المجتمع العربي دمر أبواب الخدور ونظام الحرّيم تدريجيا، فخرجت المرأة العربية لتعلن حقها في الحياة والعلم والعمل، وتكمل هذا المسار التقدمي، بمساواة مدنية لاحقة بين الرجل والمرأة في الحقوق وكل الأحكام الأخرى".

¹ - خليل أحمد خليل: المرأة العربية وقضايا التغيير، المرجع السابق، ص 73.

² - المرجع نفسه: ص 73.

³ - المرجع نفسه: ص 74.

رابعاً: المرأة العربية في العصر الحديث:

1- المرأة العربية والحقوق:

"ومن الواضح أن القوانين الخاصة بالمرأة العربية، تعكس أوضاعها الأخرى اجتماعياً، واقتصادياً، وثقافياً، وسياسياً، وتحددها، كما سنرى وبوجه عام، لم تحرز المرأة العربية حقوقها المدنية الكاملة، وإن كانت قد أخذت نظرياً حقوق التجارة والملكية الخاصة للمنقول وغير المنقول، وحقوق إجراء العقود والموجبات، تقول إنها أحرزتها نظرياً فقط إذ نلاحظ في الواقع أكثرية المالكين والتجار والرأسماليين العرب هم الرجال إطلاقاً"⁽¹⁾.

"إنّ حقوق المهنية للمرأة العربية هي: حق العمل وحق الانتساب للنقابات، لم تكتسب بعد مداها التغيير الفعال، ولكنها بدأت تشير بشكل ملموس ومحدود إلى مشكلات العمل النسائي والأجور والعطلات والضمانات وسواها"⁽²⁾.

"أمّا من جهة حقوقها السياسية: حقها في الانتخاب، وعلاوة على ذلك نالت حقوقها في الوظائف، كما في مصر والعراق وسوريا، وارتقت بعض النساء العربيات إلى الاضطلاع بمسؤوليات البلديات، والمجالس النيابية والشعبية، وفي الوزارات أحياناً، ولكن هذه الحقوق السياسية لم يُعترف بها للمرأة بعد، كما هو الحال في الأردن والسعودية والكويت"⁽³⁾.

"يضاف إلى ذلك أن حقوق المرأة العربية في الأسرة لم تتبدل كثيراً، إذ أنّها لا تزال تعتبر وسيلة للمتعة والإنتاج، ولا تزال المرأة تُضرب في الأسرة، وان خف الضرب عن العصور السالفة، ومبدأ تعدد الزوجات لم يبلغ، إلا في تونس، ربما نما تأثير الثقافة

¹ - خليل أحمد خليل: المرأة العربية وقضايا التغيير، المرجع السابق، ص 113.

² - المرجع نفسه: ص 114.

³ - المرجع نفسه: ص 114.

العربية، وإن أخذ الواقع الاقتصادي والاجتماعي للزوج يفرض عليه مبدأ الاكتفاء بمرأة واحدة شرعية، إلا أن منع تعدد الزوجات قانوناً، لم يفرض بعد في بقية البلدان العربية⁽¹⁾.
"وما يضاف إليها من حقوق في الزواج، يميزون بين المهر والجهاز: فالمهر هو ما يقدمه الرجل للمرأة لقاء الزواج؛ ويمكن أن يكون نقدًا أو مجوهرات أو عقارًا والمهر لا يترتب للزوجة لمجرد ويمكن أن العقد عند "الطوائف المسيحية" أن يتعهد به الزوج خطياً أو شفهيًا وأما في الشرع الإسلامي فالمهر يترتب على الزوج لمجرد عقد الزواج ونلاحظ أن المهر لا يستحق عند المسيحيين إلا بالزواج المكتمل، وإنه أصبح نادر جدا في زواجهم ومستمر في زواج المسلمين على اختلاف مذاهبهم هذا ويعتبر الجهاز ما تأتي به المرأة إلى البيت الزوج من أثواب ومصاغ وأمتعة من مالها الخاص أو من مال ذويها وهي تملك جهازها لمجرد قبضة ممن تبرع به ولكن لزوجها حق الانتفاع به بإذنها ورضاها"⁽²⁾.

2- المرأة العربية والتطور الاجتماعي والاقتصادي:

"لقد وصف سلامة موسى في كتابه "المرأة ليست لعبة الرجل"، صلة المرأة بعلاقات الإنتاج، من زاوية المجتمع المصري، قائلاً: لقد كان هناك هذا المجتمع المصري مثل بقية المجتمعات العربية، يحيا الرجال وحدهم، وكانت المرأة المضروب عليها الحجاب تعيش بين أربعة جدران في المنزل، تختبئ وراء الأبواب والشبابيك، وهذا الاحتجاز المنزلي للمرأة ما هو إلا قتل لها، بدعوى العرض وأساسه احتقار المرأة. ويتساءل سلامة موسى: ماذا في البيت يستحق أن ترصد له الزوجة نفسها ووقتها وفراغها؟ يجب على المرأة المتعلمة أن تعمل خارج البيت، وتؤدي خدمة اجتماعية لوطنها "البيت أصغر من أن يستوعب كل إنسانيتك، وكل عقلك وكل قلبك"⁽³⁾.

¹ - خليل أحمد خليل: المرأة العربية وقضايا التغيير، المرجع السابق، ص 115.

² - المرجع نفسه: ص 115.

³ - سلامة موسى: المرأة ليست لعبة الرجل، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، بيروت، 1956، ص 10.

"فالمرأة العاملة المنتجة، تحمل في نفسها جميع الفضائل الاجتماعية، وفي طبيعتها حرية التفكير، وحب التجربة وحب الخير العام، وبما أنّ المرأة العربية هي إجمالاً خارج مسار الإنتاج، وفي مدار الاستهلاك السلعي والجنسي، فإنّ سلامة موسى يستهضها محرضاً "تعليمي الصناعة، واحترفي حرفة قبل الزواج، حتى تختاري زوجك عن حب وتقدير، وليس لأنّه سيعوّلُك، والصناعة فوق ذلك تصون كرامتك، وتصل بينك وبين المجتمع، وتكسبك الإحساس الاجتماعي، تعليمي حرفة تكسبك الاستقلال الاقتصادي الذي ينتج لك الاختبار الحسن للزوج، والكلمة الأخيرة، لا تفصلي عن المجتمع"⁽¹⁾.

"إنّ السياسة الاجتماعية التحررية، تعزز إنسانية المرأة، وتبعد من طريقها التقاليد البالية، التي تؤخر مسار تحررها المتلازم مع مسار تحرر الرجل والمجتمع.

إنّ زوجة العامل وكذلك زوجة الفلاح تعملان وتنتجان، إمّا في المنزل وإمّا في الحقل، بل كذلك تفعل الزوجة في الطبقة المتوسطة الفقيرة، التي تعتني بأبنائها وتدير منزلها، ولكن الزوجة في الطبقة العالية الثرية وكذلك في الطبقة المتوسطة، لا تجد ما تعمله في البيت، فيجب أن تعمل خارجه...، إنّ إحساس الإنتاج هو إحساس الصحة النفسية، وهو إحساس الخير، وهو إحساس الصلاح في المعنى العصري"⁽²⁾.

"وفي الواقع نلاحظ أن الإنتاج الزراعي والصناعي لم يعد فوق قدرة المرأة حتى المرأة الحامل كما كانوا يبشرون، فالاختراعات الجديدة خدمت ارتقاء المرأة وساهمت في تحريرها من العمل في البيت والمصنع أي منحها مزيداً من وقت الفراغ الذي ينبغي أن تستخدمه في تربية شخصيتها وترقية مجتمعا وعائلتها"⁽³⁾.

¹ - سلامة موسى: المرأة ليست لعبة الرجل، المرجع السابق، ص 15.

² - خليل أحمد خليل: المرأة العربية وقضايا التغيير، المرجع السابق، ص 122.

³ - المرجع نفسه: ص 122.

"لقد تميز الأسلوب التنظيمي لنضال المرأة في سبيل تحررها، بالعمل الخاص في جمعيات، وحركات وأندية نسائية، تعمل تحت شعارات الحنان الأمومي ومثالية الخدمة والتبشير الرسولي، وتتولى هذه الأعمال بوجه عام، نساء من الطبقة المسيطرة اقتصاديا والحاكمة سياسيا، وتتحصر نشاطاتها في ميادين المال (تبرعات خيرية) والسياسة والوجاهة، والدافع لهذه الأعمال هو شعور هؤلاء النساء بضرورة التكفير عن استغلال الطبقة التي ينتمون إليها، والاحتواء والنقمة المكبوتة، عند الطبقات الاجتماعية المظلومة وأيضا للمحافظة على مؤسسات الاستغلال؛ القائمة بتكرار أعمال السلف من خلال المرأة التي تعتبر أهم من حفظ التراث وأصعب من تخلي عنه"⁽¹⁾.

3- المرأة العربية والتطور الثقافي:

"ومما يجدر بنا ملاحظته، توافق التعليم والاستهلاك والإنتاج الثقافي، إنّ معظم الإنتاج الثقافي عند المرأة العربية، تميز كمجمل إنتاج ثقافي عربي، بصفة أدبية عامة فمنذ عام 1875 شهدت السوق العربية إنتاج الأدبيات الذاتية، فأنشأت "هند نوفل" مجلة سنة 1893، وظهرت شاعرات وكاتبات في لبنان أمثال الشاعرة "وردة اليازجي" و"ماري نحاس" و"جوليا طعمة" دمشقية صاحبة مجلة "المرأة الجديدة" التي ظهرت سنة 1921 والشاعرة العراقية نازك الملائكة، والكاتبة سميرة عزام، وسلمى الخضراء الجيوسي والشاعرة الفلسطينية فدوى طوقان، والأدبية غادة السمان وغيرها، فالعناية بالأدب لم تقتصر على الرجال وحدهم فقط"⁽²⁾.

"كما يجدر بنا التشديد على اهتمام المرأة بالكتابة الصحافية، وقد ذكرنا في سياق هذه الدراسة أسماء عديدة من بينها نازك، عزام، وهذا الاهتمام النسائي بالصحافة العربية تبلور في مصر ولبنان بشكل خاص، حيث ظهر ما بين 1893 "مجلة الفتاة"، وسنة 1943 "صوت المرأة"، وحوالي 26 مجلة نسائية، و في العشرين سنة الأخيرة، بلغ عدد

¹ - خليل أحمد خليل: المرأة العربية وقضايا التغيير، المرجع السابق، ص 125.

² - المرجع نفسه: ص 135.

الصحف والمجلات النسائية في لبنان 16 منها 9 بالعربية و6 بالفرنسية، وواحدة بالإنجليزية⁽¹⁾.

"وفي الموسيقى أبدعت "ديانا تقي الدين" و"أميرة الحوماني"، كما اشتهرت في الرسم والنحت معزز روضة (منحوتات)، "سلوى روضة شقير" (رسوم تجريدية) "جوليانا ساروفيم" (مدهشات وغرائب)، وبيبي زعني (طبيعة وأزهار).

دخلت المرأة العربية المسرح والسينما، والإذاعة والتلفزيون، بخطى وثقة وقوية، ولا مجال لتعداد الممثلات والمذيعات، فهنّ كثيرات ومعروفات⁽²⁾.

¹ - خليل أحمد خليل: المرأة العربية وقضايا التغيير، المرجع السابق، ص 136.

² - المرجع نفسه: ص 137.

الفصل الثاني

تجليات صورة المرأة في رواية

عائشة ل: البشير بن سلامة

أولاً- وصف الشخصيات النسوية في رواية عائشة

ثانياً- تجليات صورة المرأة في رواية "عائشة" ل: البشير بن سلامة

ثالثاً- الأثر في الرواية التونسية

أولاً: وصف الشخصيات النسوية في رواية عائشة.

عائشة: الشخصية المحورية في الرواية، فتاة عاشت حياة تعيسة، نشأت في القصر، حيث عاشت حياة الرخاء والرفاهية فترة طفولتها، لتنتقل بعدها إلى حياة الريف مع عائلتها، حياة لم تعرف معها الاستقرار، خصوصاً بعد زواج والدها من امرأة أخرى، لتحب فيما بعد ربيبها "سالم"، الذي استغلها أبشع استغلال، نظراً لطيبتها وبرائها فتفقد عذريتها، وتجبر على الزواج من رجل آخر، سرعان ما يكتشف الحقيقة ويطلقها لتستمر مأساتها؛ بزواجها من شيخ طاعن في السن، ما جعلها تخونه مع ابن أخيه، الذي هو في مثل سنها، ورغم ذلك لم تذق السعادة، ولم تعرف طعمها، ولم تحصل إلا على الحزن في هذه الدنيا، لتصاب بمرض السل في نهاية المطاف وتموت.⁽¹⁾

الأم: امرأة عاشت محطمة القلب، عاجزة أن تقف في وجه الظلم، زوجة رجل متسلط لم تعرف معه طعم الراحة، لا يبقها معه سوى أبناءها، رغم زواجه مرة ثانية ورغم معاملته الدونية واحتقاره لها، إلا أنها ضربت مثلاً في قوة الصبر والتحمل.⁽²⁾

زيدة: ابنة رجل ثري؛ كان من الأعيان، وكانت أمها جميلة جداً، أرادها أحد البايات لنفسه، ولأنه لم يصل إلى ذلك كاد لزوجها مكيدة أودت بحياته، وظن أن المجال أصبح متاح، والفرصة سانحة، ولكن أمره اكتشف، ثم دبرت زوجة الهالك مؤامرة ذهب ضحيتها في آخر المطاف إلى السجن.

بقيت زيدة وأختها هيفاء بدون عائل، فكفلها رجل خير من الأعيان؛ اسمه "ألفريك مصطفى"؛ صاحب سلطة ومال ونفوذ، كابنة له ومنذ ذلك اليوم أصبحت "زيدة" تقيم في القصر، وتتولى بعض المهام فيه، لطالما عُرفت زيدة ببراعتها ولطفها وطيبتها، لقد حظيت بحياة رائعة، إلى أن عرفت "الطاهر ووقعت في حبه، وانتهى الحب بزواج، رغم

¹ - البشري بن سلامة: عائشة، ط2، الشركة التونسية للفنون والرسم، تونس، 1984، ص 102.

² - المصدر نفسه: ص 70.

ذلك الحب الذي جمعهم، إلا أنه تحول إلى كره وحقد من طرف "الطاهر"؛ نتيجة خيانة زبيدة مع "عادل".

دوجة: امرأة تجاوز سنها الأربعين، تظهر منهكة القوى، لفرط ما عملت في البيوت منذ صغرها، ولكن الله أعطاها نصيبا من الجمال، بقيت صباغة منه تغري في بعض الأحيان، حيث كانت تكثر من إغراء الطاهر، بأساليب من الصعب على الرجال ألا يقعوا في أحابيلها ومقاومتها.

علجية: بنت لا تتجاوز الرابعة عشرة، لها عمل طفيف؛ فهي تغسل لعادل ابن صاحب القصر رجليه عند النوم، أمام فراشه، ويجب عليها ألا ترفع بصرها، ولا تنتبه لما يفعل سيدها.

فاطمة: ربيبة عائشة، وصديقتها المفضلة، وبئر أسرارها، تقضي لها بكل أمورها وخاصة العاطفية منها، أحبت الناصر حبا شديدا، إلا أنها وباكتشافها لعلاقته مع والدتها تصاب بالمرض، وتلازم الفراش.

سكيلة: الزوجة الثانية للطاهر، والد "عائشة"، امرأة متسلطة أرملة وأم لطفلين تعمل في التطريز لإعالة عائلتها، تقيم علاقة جنسية مع الناصر، ابن زوجها تحت طائلة التهديد بداية، ورغبة فيه فيما بعد.

ربح: امرأة سوداء اللون، كقطعة أبنوس لم تتجاوز الأربعين، نحيلة القوام، رقيقة الملامح إلا فمها، كان يعجب سيدها، وخاصة عندما يقرر أن تغسل له رجليها بنفسها.

"ربح" كانت في خدمة أحد البايات الصغار، ففطن زوجها إلى نزوة من سيدها حيال زوجته فقتله، فحكم وشنق بمشقة "باردو" بأمر من الباي، وانتهى المطاف "بربح" إلى بيت "ألفريك مصطفى"، فسلمها إلى ابنه لخدمته.

حليمة: زوجة الجنان؛ امرأة في العشرين، جميلة ورشيقة، جمالها بدوي، كانت لها جملة من المهام، وهي أن تصعد في كل صباح بطبق من الفواكه، على حسب الفصول، وبما يوجد به البستان فهذا يرتقال، أو عنب، أو تين، أو تفاح وغيرها.. وتتدخل من باب الخضرة إلى سيدها.

ثانيا: تجليات صورة المرأة في رواية "عائشة" ل: البشير بن سلامة.

قبل عرض الصورة التي ظهرت بها المرأة في رواية "عائشة" للبشير بن سلامة، تجدر الإشارة إلى أن الصورة العامة التي هيمنت على الرواية، هي صورة تجسد المرأة السلبية؛ فهي الزوجة الخاضعة، وهي الجاهلة الساذجة، ضحية الأعراف والتقاليد الجائرة، وهي الأم العاجزة المستسلمة، ولا وجود بتاتا لامرأة متعلمة، أو مثقفة بتاتا، أو بالأحرى قوية ومتحررة.

هذا إن دلّ على شيء، فإنّما يدل على حرص الكاتب على تصوير الحالة المزرية، التي وصلت إليها المرأة، لاسيما وإن عرفنا أن المجتمع التونسي، كان يزرع تحت وطأة الاستعمار الفرنسي.

ورواية "عائشة"، تعبر عن منزلة المرأة في ذلك المجتمع، تتقاذفها أمواج مجتمع متقلب، مهزوم، أضاع فيه أفراد كل توازن، وراحوا يعبرون هذه الحياة تجرفهم عواطف لا طاقة لهم بها، وتحركهم نوازع لا قدرة لهم على السيطرة عليها.

1- صورة المرأة الأم:

الأم مصدر الحنان، والرعاية والعطاء بلا حدود، وهي المرشد إلى طريق الإيمان، والهدوء النفسي، وهي المصدر الذي يحتوينا، ليزرع فينا بذور الأمن، والطمأنينة فهي اشراق النور، في حياتنا ونبع الحنان المتدفق، بل هي الحنان ذاته يتجسد في صورة إنسان.

هي المعرفة؛ التي نتعرف بها على السعادة الحقيقية، وهي صمام الأمان، ولن تكفينا سطور وصفحات، لتحصي وصف الأم، بما تستحقه من بر وتكريم، وعطاء امتنانا لما تفعله في كل لحظة، ويمكن لنا أن نحصرها في عبارة واحدة، النقاء والعطاء بكل صورته ومعانيه.

كذلك كرمها الإسلام، وجعل لها مكانة رفيعة وسامية، لقوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالَهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ¹﴾

قدم الكتاب الأم في كل جيل، وفي كل عصر، فحفظوا لها مكانتها، وقدروا لها رسالتها الإنسانية، و"البشير بن سلامة" من هؤلاء الكتاب، فنجده جسد صورة الأم، في رواية "عائشة"، على أنها الأم المتحملة؛ لكافة الأعباء، والمسؤوليات، والصابرة على زوج قاس، من أجل حماية ابنها، من قسوة والده، وغلظته وجبروته، فكانت الأم الحنون، التي تبذل الغالي والنفيس، في سبيل سعادة ابنها "الطاهر".⁽²⁾

سهرت ليالي طوال على راحته، بدل أن تنام وترتاح، فهي العطاء الذي لا ينضب، وهي التي تحب بلا شروط ولا قيود .

كانت "أم" الطاهر بمثابة خبيرة اجتماعية، تستمع لهومومه وشكواه، دون تذمر بل تظل حائرة وقلقة عليه، من المشاكل الموجودة في الحياة.

"لكن أمه تلقتة بالترحيب، والزغردة، بعد أن علمت بإطلاق سراحه من السجن ونسي نهيق الحمار، وقبل والدته، وعانقها طويلاً".⁽³⁾

¹ - سورة لقمان: الآية 14.

² - البشير بن سلامة: عائشة، ص 16.

³ - المصدر نفسه: ص 16.

كما كانت بمثابة صديقة، وأخت، تدعمه في جميع قراراته، ومواقفه، بهدف تغيير وضعه إلى الأحسن، و الحصول على حياة أفضل، وأحسن بكثير من الحياة التي كان يعيشها في القرية، لذلك ليس لها خيار، إلا أن تقبل بقرار لطاهر، المتمثل في سفره إلى تونس العاصمة، والتخلص من الحياة الريفية، ووضع المزري، وكذلك التخلص من التجنيد العسكري الرومي.⁽¹⁾

"لعله الخوف من الفراق، وتوفى اللحظة التي سيغادر فيها بلدته، ولكنه لطالما وجد الدفء عند أمه، وظفر بالطمأنينة من هذا العالم؛ الذي يخبئ الويلات".
"رغم ذلك، إلا أن الطاهر كان متشوقا لما يسمعه عن تونس، والدراسة في جامع الزيتونة، والمقاهي والملاهي".

"لم يبق للطاهر إلا أن ينفذ خطته، وأن يُعلم أمه القريبة منه كثيرا، بأنه يجب عليه أن يذهب إلى تونس، ليشارك في امتحان، ينجيه النجاح فيه، من النزول بالعسكرية، وهو أعظم ما يصيب أمًا في ولدها، فليست الأمهات التونسيات جميعهن يصبين بهذه الكارثة في أولادهن، لأن كل متحصل على شهادة الابتدائية معفى"⁽²⁾
لقد كانت للطاهر أمًا حنون، وعطوفة ومتفهمة، تحبه حبا شديدا، وتخاف عليه من قسوة الحياة، وصعابها، فهي تعمل جاهدة للترويح عنه، وتفريج كربه، ففي اللحظة التي سيغادر فيها بلدته، ودّع أمه وعانقها، وأطال عناقها، وأحس بأنها تبكي فواجهها بالمواساة، ومسح أدمعها، وقال:

"لا تبكي يا أمي، فإن ابنك مستعد ليخوض الحياة، شجاعا مقداما، كجده تماما".⁽³⁾

¹ - البشير بن سلامة، عائشة، ص 16، 17.

² - المصدر نفسه: ص 17.

³ - المصدر نفسه: ص 17.

"ولكن الحياة صعبة، والأخطار تعددت، وأنا أخاف عليك "من الرومي، ومن النزول في العسكر "الرومي"؛ الذي لا يرحمك يا ولدي، يقولون إن فرنسا تجند أبناء تونس لتدفعهم إلى الحرب، في الصف الأول، ليحصدهم الموت حصداً.
-لا تخافي يا أمي؛ فأنا سأذهب إلى تونس لأجري امتحانا، يقيني من الدخول إلى الجندية.

- إلى تونس

- نعم

- ومن أين ثمن التذكرة؟

- أنا دبّرت الأمر

- وأبوك؟⁽¹⁾

"سأرجع من تونس قبل مجيئه، وهو لا يسأل عني في العادة، أسبوع واحد فقط".
يا ليتكم أيها الأولاد تبقون صغار، نحتضنكم نحن الأمهات، كدجاجة تحتضن فراخها ولكن مالنا حيلة.

"وأخذت أمه تبكي، ورجعت إلى معانقته بشدة، حتى آلمه "الخلال"، الذي يشدّ ملابسها على صدرها، فتألم بلطف، وفهمت أمه ذلك، فأطلقت سبيله، وأمسكت بيديه وقربتة إليها، وأخذت تقبله ... من جديد".

"وبعد سفر الطاهر لاقت أمه من الألم الشيء الكثير، كيف لا وفلذة كبدها بعيد عنها، فهي تحن وتشتاق إليه".⁽²⁾

لقد حظي الطاهر بأم عوضته عن عطف وحنان الأب، فكانت العالم الذي يلجأ إليه الطاهر، للحصول على الحب والعطف، والرعاية والسعادة والطمأنينة، وكانت له سندا

¹ - البشير بن سلامة، عائشة، ص 17.

² - المصدر نفسه: ص 17.

في حياته، فكانت تدعمه حتى بعد سفره "فهي ترسل إليه النقود والمؤونة مع الأقارب، وتتقصى أخباره من الأصدقاء، فهي العطف حين تقسو الحياة، والأمل حين يعم اليأس، والدافع الذي يلون الحياة، ويعطيها معنى، وهي المضحية؛ التي ترضى بالقليل، ليحصل ابنها على الكثير.

كما جسدت رواية "عائشة" صورة الأم المفجوعة على ولدها، والمتمثلة في زبيدة أم الناصر، وذلك بسبب إلقاء القبض عليه، وسجنه إثر جريمة أخلاقية، احترق قلب الأم على فلذة كبدها، وزاد قلبها غمًا على غم، عندما زارت ولدها "الناصر" في السجن، ورأته في حالة يرثى لها، من اليأس والتشاؤم والنقمة على حظه النكد، فكان الناصر يعيش حالة نفسية محطمة، ومتعبة جدا، فكان يشعر أن الحياة عنده توقفت وهو يقبع داخل السجن، والذي يؤلمه؛ هو أنّ الحياة مستمرة في الخارج بشكل طبيعي، أمّا أمه "زبيدة" فقد هزتها الزيارة الأولى إلى السجن هزة مريعة، وخرجت تبكي بالدماء على ابنها الناصر⁽¹⁾.

فهي تتألم على ما ينتظر ابنها، من أعمال شاقة، وتعب وعمة السجن، المخيفة وعن الحياة البائسة التي سيعيشها والمتمثلة في....عدم حصوله على الراحة بسبب المشاكل مع سجناء، وكذلك عدم الراحة، سواء في النوم أو في التغذية، وكثرة الأعمال الشاقة؛ التي تؤدي إلى تدهور صحته ومرضه، وبالتالي يصبح غير قادر على الاستمرار، والرغبة في العيش، وخوفها كذلك أن ينهض في أحد الأيام على مرض شديد، أو تعب، وغيرها.

لقد جسدت الرواية "عائشة" صورة الأم على أنّها المحتملة لكل أنواع الشتم والسب، والإهانات، والصابرة على بطش زوج قاسٍ، ظالم، متسلط، من أجل الحفاظ

¹ - البشير بن سلامة، عائشة، ص 131.

على أسرتها واستمرارها، "زبيدة" هي أم لستة أولاد، تعيش في منزل صغير، لا يسعها هي وأولادها وزوجها، وفي حي شعبي فقير.

"زبيدة" هي الأم التي تقني وقتها، وصحتها، وجهدها، في الشؤون المنزلية والأولاد، منهم النائم ومنهم المتخفي في مكان ما مع أخيه، أو يكلمه بصوت خافت خوفا من تقطن الوالد "الطاهر".

"وظلت الأم "زبيدة" مجبرة على سماع شتمه، واهاناته لها، هذا الأب "الطاهر" الذي رسخ في ذهن أولاده الخوف والرعب، وذلك من خلال دخوله إلى المنزل والبدء في الصراخ بصوت مرتفع، على زبيدة والناصر ابنه الذي يكرهه كثيرا، ويتمنى له الموت". (1)

"فكان كل هم الطاهر عند دخوله إلى المنزل؛ تصفية الحساب مع الناصر بتهديده: أسكت يا كلب... يا ولد والله لاقتلك ولأطفئن لك روحك".

"تعبت الأم من معاملة الأب السيئة لها، وتتمر الطاهر، وأصبح يعتبر "زبيدة" مجرد خادمة، لا يكلمها إلا في القليل النادر، وليس له في البيت من يحدثه ويبسط معه إلا عائشة؛ ابنته الكبرى فكانت تذهب معه إلى السينما والمسرح، والتفصح في شوارع العاصمة بصحبته". (2)

"أمّا الناصر لم يمت، لولا أن تدخلت أمه، وصكها الطاهر صكه هوت على الأرض، أما الإخوة فإنهم وراء الأبواب، أو تحت المائدة، كالفئران المتربص بهم قط قلوبهم تدق، وأبصارهم خاسئة، ينتظرون حلول الكارثة". (3)

¹ - البشير بن سلامة، عائشة، ص 114.

² - المصدر نفسه: ص 115.

³ - المصدر نفسه: ص 126.

وبهذا لم يسمعوا أي كلمة طيبة من هذا الأب؛ الذي يعرفون أنه صاحب قلب قاس وغلظ. فالأمومة وحدها هي التي تشعر المرأة بأنها إنسان، وهي تلقي على منكبيها ثوب الكرامة، الذي طالما ظن به عليها مجتمعها الاضطهادي. (1)

"لم تتوقف معاناة الأم عند هذا الحال فقط، فقد صورتها الرواية وهي تتألم على الوضع التي وصلت إليه عائلتها، من شعور بالجوع والحرمان، لم تكن "زبيدة" لتحسب له حسابا من قبل، بل إنها لم تتصور وجوده بهذا العنف المدمر؛ الذي يجعلها ترفع يديها أمام العجائز لتقول لهن:

"لا قهوة ولا شاي ولا سكر ولا ..."

وكان السبب الأول في وصول العائلة إلى هذه الحالة هو "الطاهر"؛ الذي صرف راتبه الشهري في شرب الخمر، واللهو في الملاهي". (2)

2- صورة المرأة الحبيبة:

"الحب هو شعور بالانجذاب، والإعجاب نحو شخص ما، أو شيء ما، وقد يُنظر إليه على أنه كيمياء متبادلة بين اثنين، ومن المعروف أن الجسم يفرز هرمون الأوكسيتوسين؛ المعروف بهرمون المحبين أثناء اللقاء.

تم تعريف كلمة حب بضم الحاء لغويا؛ بأنها تضم معاني الغرام والداء وبنور النبات، ويوجد تشابه بين المعاني الثلاث، بالرغم من تباعدها ظاهريا، فكثيرا ما يشبهون الحب بالداء، وكثيرا أيضا ما يشبه المحبون ببنور النباتات.

الحب هو تلك العاطفة الإنسانية، التي لازمت كياننا منذ أن كانت الحياة، ونحن لا نستطيع أن ننكر الحب، فهو الذي يضم قلب الرجل لقلب المرأة". (3)

¹ - جورج طرابيشي، الأدب من الداخل، ط2، دار الطليعة، بيروت، 1981، ص 85.

² - البشير بن سلامة، عائشة، ص 127.

³ - زكي العشماوي: الرؤية المعاصرة في الأدب والنقد، (د.ط)، دار الطباعة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1986، ص 172.

وتتجسد صورة الحبيبة عند البشير بن سلامة في روايته عائشة، في تلك المرأة "زبيدة"، التي أحبت رجلا، عشقته ولم ترى رجلا غيره، ولم تتصور أن تعيش من دونه. حبيبة أخلصت بحبها طوال عمرها، كانت وفية لذلك الحب، رغم خيانة الزمن لها. تقول "زبيدة": زاد حبي له؛ من خلال لقاءاته المطولة في المكتبة، وهو يحدثها عن حله للمشاكل العديدة، وفي كل مرة تريد زبيدة أن تستدرجه إلى الإطناب في حديث عن بلدته، وأهله، ولكنه يراوغ في وصف خصال والده ومغامراته، وهو المعروف عند أهل "قصر الفريك"، ومن خلال الجلوس المطول معه، وبالحديث المستمر معه في كل يوم، زادت لوعة الحب، وشعلته، حتى صارت مهووسة به، وازدادت تعلقاً به. فالظاهر كان في نظر زبيدة الشاب المتخلق، المحترم، الذي حصل على حب واحترام وتقدير الجميع، المتواجدين في القصر، وذلك من خلال خصاله الحميدة وأخلاقه الفاضلة، ولإتقانه عمله على أكمل وجه، وتمتعه بروح خفيفة، وصاحب حياء وطيبة، وبساطة، فهذه الصفات أخذها من تربيته في البادية، فالناس في الريف يتصفون بالكرم والجود والعفة والحياء، وغيرها من الصفات. (1)

"زبيدة" لا تصدق ما يحدث لها، لا تبالي بشيء، أما السعادة التي كانت تعيشها والتي كانت تحظى بها من قبل، فقد أصبحت تخاف أن تأخذ منها، فهي كانت تتمنى أن يتوقف الوقت بها، وهي في تلك اللحظات السعيدة".

صورت "عائشة" الرجل الذي وقع في غرام زبيدة، ومنحها الحب والتقدير والحياة من جديد، رجل استطاع أن يشعرها بأنوثتها وبأنها امرأة، رجل يذكرها بالجانب الجميل الذي في داخلها، "يا زبيدة.. أنا أقدر فيك خصالك وتفانيك في عملك إنك مثلي في هذا القصر، ليس هناك من يخلص غيرنا" (2)

¹ - البشير بن سلامة، عائشة، ص 82.

² - المصدر نفسه: ص 82.

"إنّ هذا التقدير وهذا الإخلاص ليصل بي لإحساس لست أدري ما هو، فأنا غير قادر على أن أعبر عنه.

وفي ذلك الوقت انسحبت زبيدة، وقالت له:

لقد تذكرت أن سيدتي بحاجة إلي.. "فزبيدة، مثلت صورة المرأة صعبة المنال ففي بداية أمرها كتمت حبها لطاهر، ولم تعترف به، فزبيدة امرأة ذات أخلاق فاضلة وخصال حميدة، فكبرياءها وحياءها، منعها من الاعتراف، ثم تغير الحال بينهما وبدأت النظرات تتعاطف، وتلين بينهما، وفهم الطاهر أنّ زبيدة لن تقبل بالحب، إلا إذا كان طريقا للزواج المحقق.

الطاهر أحب زبيدة من يومه الأول في هذا القصر، وهو غارق في إحساس غامض نحو زبيدة، لم يتمكن من توضيحه وتفسيره" (1)

"كانت أول خطوة للطاهر هي محاولة التقرب من زبيدة، من خلال الحديث معها في المكتبة، وفي نفس الوقت التعرف عن أحوالها الشخصية، حيث استطاع وقتها أن يعرف: اسمها زبيدة... وفهم أنّها المتصرفة في القصر، والمحترمة في ذلك البيت... فمال إليها قلبه.

وكان يحس بشيء جديد لم يعرفه من قبل، وارتاح له... هو تفكير فيه رقة تشبه رقة قوام تلك الفتاة، ورقة نظراتها، ورقة ملامحها، ورقة نبراتهما، ورقة اسمها زبيدة فيه نعومة، كنعومة الاسم المشتق من اسمها". (2)

"وأحس طاهر أن عقله سيضيع في تفكيره برقة زبيدة، فعندما ينظر إلى زبيدة فكأنها الجنة التي وعد الله بها المتقين، وازداد حب الطاهر لها، ذلك الحب الذي لا تشوبه شفقة... وزبيدة يتيمة.. وهي المرأة الضعيفة، وهو الرجل الفقير المستضعف

¹ - البشير بن سلامة، عائشة، ص 66.

² - المصدر نفسه: ص 58.

في المجتمع، بل حب الند للند... يحب فيها جلالها وخصالها وسموها... فهي تقبله وهي لا تعرف منه أوعنه شيئاً كبيراً".⁽¹⁾

وانتهى حب الطاهر وزبيدة بالزفاف، حيث حضر خلق كبير، ولهجت بيوتات تونس، وكان كل الناس يُعجبون بهذا القروي، الذي عرف في مدة قصيرة كيف ينسجم مع هذا الوسط، ويدخل خباياه، ويحذق من فنون الكلام والأدب ما عجز عنه الكثيرون من أبناء البيوت، فالطاهر معروف بحزمه، وذكائه ولطفه وتربيته.⁽²⁾

"وأصبح الطاهر ينعم بكل شيء، وخاصة بزبيدة الزوجة الصالحة، التي عرفت كيف تصقل ذوق زوجها، وتدله على السلوك الطيب، وتحرضه على التقوى وتدفعه إلى اقتناء أثر والدها سيدي مصطفى، وسارت الأيام سريعة وكأنها حلم، حتى جاء اليوم الذي وضعت فيه زبيدة مولودها؛ وكانت بنتا سماها أبوها "عائشة"⁽³⁾

كذلك جسدت رواية عائشة صورة المرأة الحبيبة؛ في فتاة اسمها عائشة، كانت تتميز بالجمال والبهاء، والحسن والذكاء، حيث شارفت السادسة عشر من عمرها.

"لقد علمتها الحياة أن تسكن، ولا تنبس بكلمة مما يدور بخلدها، فهي دائماً تظهر في غفلة عما يشغل بال أهلها، فلا تصيح ولا تفرح، ولا تهتز لنبا من الأنباء، ولا لحادثة من الأحداث، ملجؤها المشاهدة والأمل من وقت إلى آخر، والبكاء، لتفرج عن نفسها.⁽⁴⁾

"عائشة" ولأول مرة تقع في شباك الحب، وفي شباك رجل لا تستطيع محيه من ذاكرتها، واستولى على ما تملكه، كان أول إنسان اخترق حميميتها دون أن تشعر بأي ذنب في حبه، لذا عندما أحبته لم يكن لديها حل آخر، سوى البقاء معه".

¹ - البشير بن سلامة، عائشة، ص 81.

² - المصدر نفسه: ص 91.

³ - المصدر نفسه: ص 91.

⁴ - المصدر نفسه: ص 136.

وأصبحت عائشة سجيئة سالم، وهي حبيسة هذه الحكايات الشعبية، وانتهز هذه الفرصة؛ وهي جالسة في ليلة ظلماء مع "عم صالح"، ليمرر يده على ساقها، وهي تخاطبهما واقفة، ويتوغل صعدا في مفاتها، أحست عائشة بلذة، لم تعرفها من قبل تداعت لها بجوارحها كلها، وجعلتها ساهمة لا تعرف جوابا، ولا تعرف بم ستواجه هذه الجرأة المزعزعة لكيانها. (1)

"عائشة لم تصدق ما يحدث لا... لا تبالي بشيء أمام السعادة التي تعيشها، والتي لم تمنح لها من قبل، وبعدها زاد حبها لسالم بفقدان حكاياته، ولمساته ونظراته الحلوة. لقد استمر الحب بينهما، وأبى كل منهما العيش دون الآخر، ومن ثم تطورت العلاقة بينهما حتى وصلت إلى نهاية قاتلة، وذلك كان في قيلولة من القيلولات، حيث وقعت فيما لم تتوقعه، وبكت بكاءً شديدا ومرًا، ولامت سالم على تهوره، وكتمت أمرها وحلفت أن لا يمسه بعد هذا، إلا عند الزواج بها".

"أمّا سالم فقد أراد لحبهما أن يتواصل، لكن دون زواج، من أجل عدم تحمل مسؤوليته فيما بعد، لكن لن تقبل عائشة، فاضطر الهرب والذهاب إلى الجندية، حتى أصبح جندي صغير بتونس.

ومن ثم لم يبق لعائشة أي خيار، إلا قبول طلب خالد للزواج منها، وكان قد طلب يدها للزواج من والدها "الطاهر"، "أعجب الجميع بخالد، شاب من الثلاثين من عمره، طويل القامة، أسمر اللون، قوي البنية، حاد النظرات طليق اللسان، في صوته رجولة وحزم، لابسا بدلته الجندية الرسمية الفرنسية، فزادته بهاء وجلالا". (2)

¹ - البشير بن سلامة، عائشة، ص 142.

² - المصدر نفسه: ص 154.

"اطمأنت عائشة لرؤيته؛ لأن هذا الرجل لم يعاملها معاملة الزوج لزوجته، في مثل هاته الحالة، وقالت في نفسها:

الرجل عاش في فرنسا، وزالت عنه تلك البدائية، الموسومة بالفحولة عندنا، فهو في هذا الباب متسامح.. يا رب لو يغفر لي الزلة، ويقبل عثرتي، وكان خالد يسر إلى أصدقائه قائلاً:

يجب أن نتخطى هذه النفسية البدائية، ولا نعتبر المرأة متاعاً، وشيئاً خلقه الله لإرضاء شهوات الرجل، وخدمته خدمة العبيد".⁽¹⁾

"أمّا عائشة فإنها ستكون المؤودة حساً، بعد أن صارت موجوعة سرا، والقوم يريدون منها أن تكون موجوعة علناً، ورسمياً، وبعدها حلت الكارثة بعائشة، وذلك بمواجهة خالد وإخباره الحقيقة، عن صاحب الفعلة؛ وهو سالم وانصدمت في رد خالد الذي لم يغفر لها زلتها، ولم يقبل لها عثرتها وانتهى زواج عائشة من خالد بالفشل والخيبة".⁽²⁾

3- صورة المرأة الضحية

أ- ضحية العرف والتقاليد القاسية:

إنّ العرف هو مجموعة العادات والتقاليد؛ المتوارثة أبا عن جد، حتى صارت بمثابة قانون أو دستور يحكم حياة الجماعة، أو المجتمع، ويعد الخروج عنه خطيئة، يعاقب عنها كل من تسول له نفسه ذلك، وبالعودة إلى رواية (عائشة) نجد أن المجتمع التونسي كان لا يزال متمسكاً بمجموعة من التقاليد البالية، المجحفة في حق المرأة على وجه الخصوص.

ونجد صورة المرأة ضحية العرف والتقاليد؛ مجسدة في تلك الفتاة "عائشة"، فبعد أن تعرضت لذلك الحادث المأساوي وفقدت عذريتها، "تمثلت نفسها كالشاة

¹ - البشير بن سلامة، عائشة، ص 156.

² - المصدر نفسه: ص 159.

المكتفة، الموعودة بالذبح، ليس لها إلا أن تمد رقبتها للسكين، والسكين في هذه المرة حقيقي⁽¹⁾

سيما وأن موعد زواجها قد اقترب؛ والذي لم تستشر فيه أصلا، ولم يكن لها الحق في إبداء رأيها، فالرجل هو من يتحكم في مصير المرأة بحسب العرف والتقاليد، وهو والدها الذي أعطى الكلمة مسبقا "تذكرت ما قصته عليها صديقتها 'زينب' بعد زواجها لقد شعرت نفس الشعور وأصابها خوف كبير... وإذا كان هذا شعور الفتاة البكر ليلة زفافها، فكيف يكون شعور "عائشة" وهي امرأة منذ زمان، إنها تتحسس السكين على رقبتها"⁽²⁾ فعائشة ستدفع ثمن غلطتها هاته غاليا، حتى وإن لم يكن لها ذنب فيها، في حين أنّ الرجل يمكن له أن يقيم العلاقات المحرمة، دون أن يحاسب بموجب هذه الأعراف والتقاليد، "ثم عاش فترة في فرنسا وعاشر من الفرنسيات من كنّ يرغبن في الزواج منه، ولكنّه آثر البناء بابنة بلاده"⁽³⁾

كما يصور لنا الكاتب "البشير بن سلامة"، عادات وتقاليد من خلال شخصية "عائشة" وهي تلك الطقوس التي تسبق الزواج، "وفي 'الحجبة' * بدأ إعداد 'عائشة' للزفاف وسلمت نفسها إلى 'الحنانة' * * * تهيئها في هذا المخبأ نصف المظلم، الذي لا يمكن لها أن ترى أي رجل من الرجال، ولا تأكل غير المستعجلة * * * ليكثر لحمها وشحمها ويصقل بدنها طليا بنوع من العجين؛ لتصبح بيضاء .

المهم في كل هذا هو ألا ترى الشمس؛ لتكون بشرتها بيضاء ناصعة علامة على النعمة وبعدها من رائحة أي سواد أو سمرة فاحمه، تكون دليلا على هجانة الأصل.

¹ - البشير بن سلامة، عائشة، ص 156.

² - المصدر نفسه: ص 156.

³ - المصدر نفسه: ص 156.

* الحجبة: الفترة التي تختفي فيها العروس عن أنظار الناس.

** الحنّانة: التي تهيء العروس زينة ولباسًا.

*** المستعجلة: أكلة من الدقيق تعطى للعروس حتى تسمن بسرعة.

واستغربت "عائشة" كل هذه الطقوس، ولكنها استسلمت لها⁽¹⁾.

ب- ضحية الجهل والغفلة:

لقد صورّ البشير بن سلامة "عائشة ذات السادسة عشر من العمر، على أنها ضحية للجهل والغفلة، هذه الفتاة التي لا تعرف شيئاً عن الحياة، ولا تلقي بالا لعواقب الأمور وهذا راجع إلى نشأتها في بيئة متخلفة، في واقعها الاجتماعي، لم تتعلم ولم تدري ما التعليم أصلاً، جلّ ما عرفته هو ما سمعته من حكايات ترويتها العجائز.

هذه الفتاة الجاهلة الغافلة، ينتهي بها الأمر لارتكاب الخطيئة، وأن تكون ضحية مكر وخبث "سالم"، "وحذقت اللعبة وأعجبتها ولم تقرأ حساباً لعاقبة ما انساقت إليه. وفي قيلولة من القيلولات وقعت فيما لم تتوقعه، وبكت بكاء مرّاً، ولامت سالم على تهوره.."⁽²⁾

ولابد لمجتمع كهذا أن يكون مسرحاً للخطايا؛ فهو يحول دون تفتح الغرائز ونموها نمواً صحيحاً، وبالتالي يتولد الكبت لهذه النوازع، فالحديث في مثل هكذا أمور يعد من الطابوهات، التي لا ينبغي الخوض فيها، فينتهي الأمر بالفتيات في مثل سنّها إلى عدم التفريق بين ما هو صحيح وما هو خطأ، لأنّ ما من أحد علمهن أو أرشدهن، فتغدو الفتاة فريسة لهذا أو ذاك، "كنت في الأول عندما ملتُ إلى سالم، لا أعرف من جحيم هذه الدنيا شيئاً، وانسقت بدون أن أشعر إلى الخطيئة؛ لأنّه لم يحدثني أحد عما كان ينتظرني إن زلت قدمي، بل بقيت هذه المسائل محرمة، لا نعرف منها إلا ما تقصه العجائز، ويفصحه التلميح والإشارة، حتى تقع الكارثة"⁽³⁾

¹ - البشير بن سلامة، عائشة، ص 156، 157.

² - المصدر نفسه: ص 151.

³ - المصدر نفسه: ص 169.

4- صورة المرأة الزوجة:

إن الزواج عقد مقدس، به يرتبط الرجل بالمرأة ارتباطا شرعيا، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾⁽¹⁾ فالعلاقة بين الرجل والمرأة تبنى على الاختلاف القائم بين الذكر والأنثى، وتنهض على التكامل الناشئ عن اجتماع الزوجين في إطار الشرع والقانون.

والزوجة هي عماد الأسرة، وركيزتها فهي شريكة حياة الزوج، وهي الزهرة التي تثمر طفولة وبراءة.

وبالعودة إلى الرواية "عائشة" للبشير بن سلامة، نجد صورة المرأة قد تجسدت بخلاف ذلك فهي الخاضعة للزوج، لا رأي ولا كلمة لها، فهي زوجة مظلومة مضطهدة بل أكثر من ذلك، فهي مجرد متاع لا أكثر ولا أقل.

تمثلت صورة المرأة الزوجة في "زبيدة"، هذه الشابة الجميلة التي تنافس على حبها كل من "عادل" و"الطاهر"، ليحظى بها الطاهر في الأخير زوجة له، وقد كان يحبها لرقتها ونعومتها وأخلاقها، كما كان يقدرها، إلا أن هذا الحب والتقدير يزول مع الأيام، خصوصا عندما يتسلل الشك إلى قلبه، لتصبح مجرد متاع يستخدمه متى شاء ويرميه وقت ما شاء. "وقد أصبحت لا يهملها من الأمر شيء؛ إذ هي تعتبر نفسها منذ زمان متاعا أو شيئا يتصرف فيه الطاهر، من دون مشاورة أو أخذ الرأي"⁽²⁾

"زبيدة" أحييت على التقاعد الزوجي وجوبا، وأصبحت علاقاتها مع الطاهر علاقات جوار فيها التقدير والمحبة حيناً، والسخط والاحتقار، وعدم المبالاة أحيانا أخرى"⁽³⁾

¹ - سورة الروم: الآية، 21.

² - البشير بن سلامة، عائشة، ص 153.

³ - المصدر نفسه: ص 136.

وتزداد معاناة زبيدة أكثر، عندما يقرر الطاهر الزواج من امرأة أخرى "فكانت الصدمة كبيرة ولكن ما حيلتها هي وأمها أمام غطرسة الطاهر، وعجز "زبيدة" عن مواجهته، والاستجداء بمن هو أقوى منه في عائلته، لا حول لها ولا قوة"⁽¹⁾

كما تتجسد صورة الزوجة في "سكيلة"، الزوجة الثانية للطاهر؛ التي تزوجها ليعدد موارده عن طريق المنح العائلية، التي ستزداد بكفالاته لأبنائها، فهي أرملة وأم لثلاثة أولاد، عدا عن كونها مصدرا لكسب المال؛ من خلال بيع ما تقوم بتطريزه من ثياب للعرائس، وكان الطاهر يحبذ نشاط "سكيلة" في المخبأ بالليل، ويعتبره موردا مهما يبتزه لها رغم تمنعها وتعللها بأن ذلك معد لتجهيز ابنتها "فاطمة"، ومن سيأتي بعدها.

ولكنها تضطر إلى تسليم أمرها لله، فتعطيه منه النصيب الذي يريده"⁽²⁾

هكذا صورت الرواية الزوجة على أنها أداة للمتعة، أو كسب للمال، خاضعة لزوجها؛ فهو الأمر النهائي والويل لها إن عصته، ولم تطع أوامره، فالطلاق يكون مصيرها، في مجتمع لا يرحم، "فهي ترتعش منه ارتعاشا، وتخاف من أن يتلفظ لها بتلك الكلمة، النازلة على رقبة كل امرأة كالسيف المسلول:

أنت طالق"⁽³⁾

¹ - البشير بن سلامة، عائشة، ص 136، 192.

² - المصدر نفسه: ص 146-147.

³ - المصدر نفسه: ص 138-140.

5- صورة المرأة العشيقة:

العشيقة في رواية "عائشة"، امرأة تحدث الأعراف والتقاليد، وخالفت النواميس التي تقوم عليها الحياة البشرية، لا بدافع الحب الذي تكنه لعشيقتها، بل انتقاماً من نفسها ومن جسدها ومن المجتمع.

"وقالت له: أنا لم أعد إلا جسداً فقط، لقد قتلوا في كل إحساس بالكرامة والمودة فأنا لا أكذب إن قلت، أنني غير قادرة على أن أحبك وهل علمني هذا المجتمع الحب؟ إنه لم يعلمني سوى السفالة واللوم والجري وراء الشهوات"⁽¹⁾

وقد تجلت صورة العشيقة في "عائشة"؛ تلك الفتاة التي تزوجت برجل في السبعينات، هو في عمر والدها، هذه العلاقة غير المتكافئة، من الناحية العمرية والفكرية، "فتاة تربت في تونس، وعرفت العز في القصور، ثم تصل إلى هذه الحال فتتزوج رجلاً في السبعين أمياً، وهي على هذه الحال من الجمال والرقّة والمدنية"⁽²⁾

إنّ هذا الزواج الذي يفتقر لأبسط مقومات الزواج، من تكافؤ وحب وتقاهم جعل "عائشة" تتسلخ عن المبادئ والأخلاق والقيم، متجاوزة بذلك المألوف، ولم تعد زوجة صالحة حسب ما صورتها الرواية، بل انتهى الأمر بها عشيقة خائنة لزوجها، ضاربة بالرباط المقدس (الزواج) عرض الحائط، فقد أقامت علاقة غير شرعية مع ابن أخ زوجها، "شاب صغير في مثل سنّها يدعى "الأزهر" "وصارت بينهما ألفة تطورت إلى تلازم فعند ما تكون في غرفتها يأتيها من نافذة صغيرة... فيبقيان الساعات الطوال في المناجاة والمداعبة لا رقيب لهما إلا الله"⁽³⁾

¹ - البشير بن سلامة، عائشة، ص 168-169.

² - المصدر نفسه: ص 167.

³ - المصدر نفسه: ص 167.

أو قد نجد العشيقة امرأة مجبرة على ذلك، كما هو الحال مع "سكيلة" فقد أصبحت عشيقة للناصر، بدافع التهديد والإجبار، "وإذا بسكيلة تتسلل إلى المخبأ وتغلقه، فيقف لها الناصر في جيبته ويضع اصبعه على فمه ويشير إليها في اتجاه "الظاهر" النائم ثم يمرر يده على رقبته، مفهما إياها أن زوجها لو فطن بهذا الأمر لقتلها"⁽¹⁾

"وأصبحت سكيلة من ذلك الوقت أسيرة "الناصر"، يترصدها في الليل أمام المخبأ فتفتح له الباب، كأنها مسحورة وتفني وقتها المرصود للتطريز، في عمل من طراز آخر"⁽²⁾

¹- البشير بن سلامة، عائشة، ص 149.

²- المصدر نفسه: ص 150.

ثالثا - الأنثى في الرواية التونسية:

عبّر المبدعون من خلال الأدب؛ عن الداخلي المأزوم والمهزوم والمهمش في النفس، وعن الفجوة العميقة بين ظواهر الأمور وبواطنها، وعن المخجل المسكوت عنه وكل ما هو عقلائي في إطار ثقافة المجتمع الأبوي الصارمة، لكن الإشكال تمثل دوما في طبيعة النظرة إليها، وكيفية تقديم دورها.

مع مرور العصور، ونظرا للكم الهائل من المعارف والعلوم التي حصلها الإنسان، ونظرا لسهولة التواصل بين الشعوب، تأثيرا وتأثرا، إضافة للمساعي الحثيثة من أجل تحرير النساء، وما لاقتته من نجاح.

شهدت النظرة للأنثى تغيرات، ارتبطت بمدى إيمان الشعوب بالحرية وممارستهم لها على أرض الواقع.

في تونس مثلا هل تغيرت نظرة المجتمع الدونية لها؟ وهل تقدمها الأعمال الروائية مرآة الواقع الاجتماعي العام، ككيان مستقل؟ أم مجرد ظل للرجل؟

يمتاز المجتمع التونسي عن بقية البلدان العربية باحترام أكبر للأنثى، كونها غير معرضة لتشاركها زوجة ثانية بيتها، وليست ملزمة بلباس طائفي محدد، هو واقع متجذر تاريخيا وحضاريا. (1)

كانت صورة الأنثى في الرواية التونسية، مختلفة عن مثيلاتها في باقي الأعمال الروائية العربية.

والرواية التونسية حديثة بالمقارنة مع العمل الإبداعي الروائي في العالم، إذ يقول بعض الدارسين أنها تعود للنصف الثاني من القرن العشرين، رغم أنه قد ظهرت روايات قبل ذلك مثل "الهيفاء وسراج الليل" لصالح السويسي، سنة 1906 كما أنه قد تم تأليف

¹ - رويده سالم: الحوار المتمدن، www.m.ahewar.org/sasp

الرواية الذهنية "حدث أبو هريرة قال"، للدكتور محمود المسعودي قبل 1940، وإن انتشرت سنة 1973.

ركزت الروايات التونسية في مواضيعها، مثل جلّ الأعمال الروائية على نقل الواقع الاجتماعي ونقده بكل دقة، في ما يتعلق بالمواضيع العامة وطبيعة العلاقة بين الرجل والمرأة، والحالات النفسية الشخصية، لكليهما، مقدمة الأنثى كشريكة في تحمل المسؤوليات، وأما مناضلة و متمردة على الواقع المجتمعي.⁽¹⁾

عبر البشير بن سلامة في روايته "عائشة" عن تردي الأوضاع عموماً، وعن النظرة الدونية المحققة للمرأة، وتتكرر الصورة في رواية "حليمة"، لعهد لعروسي المطوي الذي قدم صورة مختلفة تماماً، صورة مشرفة للأنثى التونسية، كند للرجل في تحقيق وإدراك الذات والنجاح رغم العراقيل، والعمل والدفاع عن القضايا الكبرى، فالمرأة هي أيضاً تعرف القيم التي يقوم الذكر بتحقيقها بصورة فعلية، لهذا نجدها تجابه قيم الرجال يقيم أنثوية (دي بوفوار) الجنس الآخر، بداية الرواية نلاحظ تمتع حليمة بشخصية قوية، وبذكاء وباستقلالية في التصرف، واتخاذ القرارات ثم نتابع بعد انتقالها إلى العاصمة وزواجها من عبد الحميد، مشاركتها ببسالة في العمل النضالي من أجل تحرير الوطن، وإن حافظ "لمطري" في سرده لأهمية دور الأنثى كملاك في البيت على تعبير "فرجينيا وولف" في كتابها مهنة النساء".

فبعد الحميد يطلب من حليمة أن تعده، إن هو غاب أو استشهد أن تكف عن اي عمل ميداني، لتقوم بحماية الأطفال والاعتناء بهم.⁽²⁾

وفي رواية "سهرت منه الليالي"، الأقدم زمنياً رسم لنا (علي الدوعاجي)، حياة امرأة تعاني الأمية، وتتزوج مرغمة من رجل يتعاطى الخمر، ويعنفها ناعتا إياها بأفطع

¹ - رويده سالم، الحوار المتمدن. www.m.ahewar.org/sasp

² - المرجع نفسه.

الصفات، موجها لها كلاما بذيئا وسوقيا، ومع أنها تشعر تجاهه بكل أصناف الكره، إلا أنها تستمر في السهر على راحته، غير مبالية بنفسها.

وقدم هؤلاء الروائيون- رغم أنهم نقدوا من خلال شخصياتهم الأنثوية الواقع الاجتماعي، والبيئة الفكرية الذكورية الطاغية فيه- أنموذجا مثاليا للأنثى موازي للمثال الحي من المجتمع، بكل جماليته وعيوبه، وجوانبه السلبية، لكن من منظور ذكوري، يتوافق مع صورة المرأة عموما، عبر التاريخ فهي لا تساوي شيء ولا يمكن أن يتساوى مع شيء لأنها تناضل من أجل قضية مصيرية أو لأنها تتغذى في صمت مر.

وإن تمردت تلاقي الإدانة والإقصاء، يقول "جون ستيوارت ميل" في كتابه "استعباد النساء" لقد كانت هناك في الماضي أخلاق الخضوع، ثم جاءت بعدها أخلاق الفروسية، والكرم وقد آن الأوان أن تتحقق أخلاق العدالة، كما تقدم المجتمع نحو المساواة.

هذه العدالة ستحقق؛ حيث تحاكم التركيبة الذهنية والنفسية، والنظام المعرفي الذي يطلق عليه المجتمع "الأبوي"، ويكف الذكر عن تملك الأنثى، ويتوقف المجتمع عن تهمين هذه الملكية.

تأنيث الثقافة والفن، والحضارة والمصير الإنساني، هي السبيل الوحيد لنشر ثقافة الندية، والإسهام في التنمية الإنسانية، وتحقيق مستوى راق من العدالة، لا بين الجنسين وحسب، بل بين البشر جميعا، في عالم إنساني متصالح مع ذاته، فالمرأة كما يقول: "تويس رغوان": هي مستقبل الإنسان وهي نصف المجتمع، وقد ربت في حجرها النصف الثاني، وهي الرئة المعطلة، التي بانطلاقتها سنتمكن من قطع المسافة سريعا نحو الحدأة الفائقة⁽¹⁾.

¹ - رويدة سالم، الحوار المتمدن. www.m.ahewar.org/sasp

خاتمة



تتدرج رواية عائشة فيما يعرف باسم رواية الأجيال التي يتابع فيها البشير بن سلامة حياة العائلة لسنوات طويلة تمتد إلى أكثر من جيل، وقد حاول المؤلف استنطاق أكثر من نصف قرن من حياة المرأة من العشرينات إلى السبعينات من القرن العشرين، تلك المرحلة التي تتوزع على عهدي الاستعمار الفرنسي والاستقلال وما تضمنت من أحداث مهمة فاعلة في حياة المرأة والمجتمع.

فالرواية "عائشة" عالجت وضعية المرأة في المجتمع التونسي بصفة خاصة والمجتمع العربي بصفة عامة.

كان للمرأة حضور قوي على خلاف الرجل فقدمها الكاتب على أساس أنها مصدر للحب والحنان والعتاء والسعادة من جهة ومصدر للحزن والأسى من جهة أخرى. ومن خلال دراستنا لموضوع صورة المرأة في رواية عائشة البشير بن سلامة استطعنا أن نخرج بالنتائج التالية:

- ✓ احتلت المرأة مكانة مرموقة كونها عضو فعال في البيئة الجاهلية حتى أنها استطاعت الوصول إلى سُد الحكم وقيادة الجيوش.
- ✓ المرأة في الإسلام لها دور مهم وواضح فقد كرمها الإسلام ورفع من شأنها كثيرا وأعطى لها حقوق.
- ✓ كانت المرأة العربية ولا زالت مصدر إبداع وإلهام الرجل في مطلع قصائده.
- ✓ شغل موضوع المرأة حيزا كبيرا في الرواية عبر تاريخها فجعل منها البعض سبيلا للسعادة فهي تولد لدى الكاتب حب الكتابة.
- ✓ مفهوم الصورة: لغة الصورة ترد في كلام العرب على مظاهرها وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته وعلى معنى صفته، واصطلاحا طريقة خاصة من طرف التعبير ووجه من أوجه الدلالة.

- ✓ مفهوم المرأة: لغة المروءة كمال الرجولة، واصطلاحا المرأة هي الحياة والحياة هي المرأة فالمرأة إناء مقدسا للحياة لتعرف فضلها على الأجيال في كل زمان ومكان.
- ✓ تكمن دلالة الشخصية النسوية في الرواية بقدرتها على التعبير عن الوقائع بصورة المرأة أكثر رهافة وحساسية وأشد وضوحا من صورة الرجل.
- ✓ يعد موضوع المرأة من أبرز وأهم المواضيع التي نالت دراسة كبيرة من طرف الأدباء والروائيين فهي المثير الذي يدفعه إلى الأمام والتقدم والنجاح.
- ✓ تعكس رواية "عائشة" صور مختلفة من قضايا اجتماعية وما يرتبط بها من ضعف وجهل وفقر ماديا كان أو فكريا.
- ✓ الشخصيات النسوية في رواية "عائشة" غلب عليها طابع الحزن والأسى والمعاناة من جهة والسعادة غير الدائمة من جهة أخرى.
- ✓ صورت الرواية المرأة الأم على أنها المتحملة لكافة الأعباء والمسؤوليات والصابرة على قسوة الظروف من أجل الحفاظ على أسرتها.
- ✓ المرأة الحبيبة صورها البشير بن سلامة في الرواية تلك المرأة التي أحبت فأخلصت فماتت.
- ✓ جسدت الرواية صورة الزوجة المظلومة المضطهدة فهي خاضعة للزوج لا رأي ولا كلمة لها فهي مجرد متاع لا أكثر ولا أقل.
- ✓ العشيق في الرواية امرأة تحدد الأعراف والتقاليد وخالفت النواميس التي تقوم عليها الحياة البشرية لا بدافع الحب الذي تكنه بل انتقاما من نفسها ومن جسدها ومن المجتمع.
- ✓ جسدت الرواية صورة المرأة الضعيفة، حيث نجد المجتمع التونسي كان ولا يزال متمسكا بمجموعة من التقاليد البالية المجحفة في حق المرأة على وجه الخصوص.

خاتمة

✓ كانت صورة الأنثى في الرواية التونسية كمثيالاتها في باقي الأعمال الروائية العربية.

وفي الأخير نتمنى أن نكون قد وفقنا في بحثنا هذا ولو بالقليل لهاته الرواية ونأمل أن تكون دراستنا بداية لدراسات لاحقة ومفتاحا لبحوث قادمة بإذن الله تعالى.

الملحق

1- التعريف بالأديب "البشير بن سلامة":



أ. حياته (السيرة الذاتية والإبداعية)

ولد البشير بن سلامة في 14 أكتوبر 1931 بباردو، وزاول تعلمه بالمدرسة الصادقية ثم بدار المعلمين العليا، وهو أستاذ في اللغة والآداب العربية.⁽¹⁾

انضم إلى أسرة مجلة الفكر من بدايتها (1955) ثم تولى رئاسة تحريره إلى أن توقفت عن الصدور في جويلية 1986،

أسس أثناء تدريسه بمعهد ترشيح المعلمين بتونس مع الطلبة مجلة "الجيل"، كما أنه أشرف على مجلة "الشباب" لسان اتحاد الشباب التونسي من 1963 إلى 1965، وهو من مؤسسي اتحاد الكتاب التونسيين (أمين عام من 1970 إلى 1981)، أسس ثلاث مجلات: شعر، فضاءات مسرحية، فنون صادرة عن وزارة الشؤون الثقافية، ناضل في صفوف الحزب الدستوري لجديد قبل الاستقلال وبعده وانتخب عدة مرات باللجنة المركزية لهذا الحزب وبقي عضوا بالديوان السياسي من 1980 إلى 1986، مارس عدّة مسؤوليات سياسية وإدارية: رئيس ديوان المدير العام للإذاعة والتلفزة التونسية من 1964 إلى 1968، عضو بمجلس الأمة ثم مجلس النواب من 1969 إلى 1986، رئيس بلدية قصور الساف من 1972 إلى 1986، وزير الثقافة من 1981 إلى 1986،⁽²⁾ وقد أسس أثناء اضطراره بهذه المسؤولية الفرقة الوطنية للموسيقى، المسرح الوطني، أيام قرطاج المسرحية المجلس الأعلى للثقافة، المعهد العالي للمسرح، المعهد العالي للموسيقى، المعهد العالي للتنشيط الثقافي، صندوق التنمية الثقافية، صندوق الإنتاج السينمائي، مركز الدراسات والتوثيق خاص بالتنمية الثقافية، بيت الحكمة، إنجاز القسط الأول من المكتبة الوطنية، بعث 12 جائزة في الميدان الثقافي توزع على المبدعين كل سنة، بعث معرض للكتاب يلتئم كل سنة.

¹ - البشير بن سلامة: رواية عائشة، ص 199.

² - ويكيبيديا الموسوعة الحرة.

ب. آثاره:

- له عدة مؤلفات في القصة والرواية والمسرح والبحث والمقالة والترجمة، تفصيلاً كآتي:
- تاريخ أفريقيا الشمالية لشارل اندري جوليان (ترجمة بالاشتراك) الدار التونسية للنشر 1969 عدة طبعات.
 - المعمرون الفرنسيون وحركة الشباب التونسي (ترجمة بالاشتراك) الشركة التونسية للنشر 1970 وط 2 سنة 1985.
 - خير الدين والبلاد التونسية، تأليف ج.س. كريكن، دار سحنون 1988.
 - نحو هوية بشرية ملائمة للواقع للمنصف القيطوني (ترجمة) دار الآداب بيروت 1990.
 - سليمان القانوني لاندري كلو (ترجمة) دار الجبل بيروت 1991.
 - ليلة الفلق: محمد والبيان الإسلامي، تأليف فتحي بن سلامة، منشورات الجمل، كولونيا، ألمانيا، 2005.
 - في الدولة الحسينية، حسين بن علي المؤسس، عن كتاب بالفرنسية تأليف المختار باي، الأطلسية للنشر، تونس، 2009.

القصة والرواية والمسرح:

رباعية روائية (العابرون).

- عائشة رواية، على حساب المؤلف، ثلاث طبعات، 1982، 1983، 1986.
 - عادل رواية مؤسسة بن عبد الله، تونس، 1991.
 - علي رواية الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1996.
 - الناصر، رواية، دار المعارف للطباعة والنشر، 1998.
- وقد قال عنها "أحمد ممو" مدير مجلة قصص التونسية: "يمكن أن تعتبر رباعية البشير بن سلامة الروائية "العابرون" حدثاً في الإصدارات الروائية بتونس نظراً لأنها أضخم رواية تونسية تصدر إلى حد الآن وهي ذات أهمية خاصة في توجهها الاجتماعي، التاريخي

الرابط خلال فترة تزيد على القرن، بين أجيال مختلفة من المجتمع التونسي وأحداث تاريخية ذات أهمية، إضافة إلى ما فيها من جوانب فنية قد لا تتوفر غيرها من الكتابات الروائية".

- لوحات قصصية، الدار العربية للكتاب ، تونس . ليبيا ، 1984 . مؤسّسات ع . بن عبد الله ، طبعة ثانية، 1994.
- اللّهُ الصّفر (رواية) ، مخطوط.
- المتمرد (مسرحية)، الأطلسية للنشر، تونس، 2008.
- عدّة مسرحيات قصيرة منشورة في الجرائد والمجلّات.

الدراسات اللغوية والأدبية والفكرية:

- اللّغة العربيّة ومشاكل الكتابة ، الدّار التّونسيّة للنّشر ، تونس ، طبعتان، 1971-1985.
- الشّخصيّة التّونسيّة ، مقوماتها وخصائصها ، مؤسّسات ع . بن عبد الله ، تونس ، 1974 .
- النّظريّة التّاريخيّة في الكفاح التّحريريّ التّونسيّ ، مؤسّسات ع . بن عبد الله، تونس ، 1977.
- قضايا ، الدّار العربيّة للكتاب ، تونس . ليبيا . ، طبعتان ، 1977.1985.
- نظريّة التّطعيم الإيقاعيّ ، الدّار التّونسيّة للنّشر ، تونس ، 1985.
- في رحاب الأدب والفكر ، الهيئة العامّة المصريّة للكتاب ، القاهرة ، 1986.
- السياسة التّقافيّة في تونس ، منشورات مجلّة البحرين ، 1985 . وبالفرنسيّة ، نشر وزارة التّقافة التّونسيّة.
- التّيّارات الأدبيّة في تونس المعاصرة ، دار المعارف للطباعة والنّشر، تونس 1996 . ترجمه إلى الفرنسيّة رضا بن سلامة، الأطلسية للنّشر تونس، 1998.
- ومضات من جمر التّقافة، منشورات الجمل، كلونيا-ألمانيا، 2005.

- معجم اللغة العربيّة في ثلاثة أجزاء، بالاشتراك، بيروت، بالصّور الملوّنة، 1996، عدّة طبعات، 1370 صفحة.
- عابرة هي الأيام – بمثابة سيرة ذاتيّة، برق للنّشر والتّوزيع، تونس 2013، 711 صفحة.
- بين الجذور والعبور، الأطلسيّة للنّشر، تونس، 2015، 399 صفحة.
- فهرس مفصّل لما ورد بمجّلة الفكر من مواضيع...، الشركة التّونسيّة لفنون الرّسم، تحت الطّبع.
- العديد من المقالات والدّراسات والاستجابات صدرت بمجّلة الفكر وجرائد ومجّلات عربيّة وأجنبيّة.
- نصوص لأشرطة سينمائيّة وثائقيّة.

البشير بن سلامة

عائسة

رباعية «العابرون»

رواية



ملخص الرواية:

تندرج رواية عائشة ضمن ما يعرف باسم رواية الأجيال، التي يتابع فيها الكاتب حياة عائلة لسنوات طويلة تمتد إلى أكثر من جيل واحد.

تدور أحداث الرواية حول صبي تونسي صغير يبلغ حوالي 16 من العمر يدعى "الطاهر" يعيش في قرية ريفية قبيل الحرب العالمية الأولى إلا أن أحلامه العنيدة تلك تدفع به لمغادرة قريته، وتشده حكايات كثيرة إلى العاصمة تونس، للتفرج على قصورها وحدائقها، ومبانيها ومقاهيها وملاهيها التي سمع عنها الشيء الكثير وكذا للدراسة في جامع الزيتونة الشهير، وهو على ارغ من فشل محاولته الأولى للهرب إلى العاصمة بواسطة القطار مع ابن عمه "عبد الله" إلا أنه يصمم على المحاولة مرة ثانية منفرد، فيسافر بواسطة عربة قديمة تجرها البغال.

تبدأ رحلة الطاهر في العاصمة بحثا عن معجزة تغير حياته ليقضي ثلاث سنوات من المعاناة وهو ينتقل بين حلقات الدرس في الزيتونة وكان خلالها يسكن بيت ان عمه ليقدر فيما بعد أن يبحث عن عمل في شركة الترامواي حتى لا يكون عالة على أمه بما ترسله من مؤونة ومال لكن والده يثور غضبا عند سماعه الخبر ذلك أن من العار دخول شركة للأوربيين وبعد تعنيفه له يقرر مساعدة ابنه كي يبدأ حياة جديدة فيصحبه إلى صديق قديم "ألفريك مصطفى" فيلتحق الطاهر بقصره ويعمل مشرفا على أملاكه وهناك يتعرف على "عادل" ابن مصطفى، وتتشأ بين الشابين صداقة قوية إلا أن تدب الغيرة بينهما ستثار بقلب الشابة الجميلة "زبيدة" وهي المشرفة على أمور القصر وتعتني بزوجة مصطفى بصورة خاصة، يتزوج الطاهر من زبيدة ويعيش حياة هانئة وميسورة في القصر ويرزق بابنته "عائشة" التي تتشأ في أجواء من الثراء والنعيم، غير أن الطاهر فجأة يقرر الرحيل عن القصر.

وقد طلب من "ألفريك مصطفى" مساعدته بإيجاد عمل آخر له في المدينة، وقد علل طلبه هذا بأنه لم يعد يقبل أن يعيش في نعيم القصر بينما عامة الشعب يعيشون

في حرمان ويعاملون كالعبيد، وقد احترم ألفريك هذا الموقف، ووجد له عملا في دائرة المالية، مما مكنه من الانتقال للسكن مع أسرته في نهج الباشا الشعبي، غير أن الدافع الحقيقي لمغادرته الطاهر للقصر هو شكه في وجود علاقة بين زوجته زبيدة وعادل. وفي المنزل الجديد بالحي الشعبي يرزق لظاهر بالطفل الثاني بعد عائشة وهو "الناصر" ولكن مجيء هذا الطفل الجميل الذي يكاد يكون صورة من عادل يعزز شكوكه تجاه خيانة زوجته، فيحقد على الزوجة وعلى الطفل وتبدأ حياته بالتدهور والتراجع منذ ذلك الوقت.

هذا الشك الذي بدأ يعذب "الظاهر" جعله يحكم على جميع الناس بالخيانة مما أفشل كل علاقة يقيمها بالآخرين ثم اندفع بعد ذلك إلى الخمر والسهر والملاهي، وإلى مشاهدة الأفلام والمسرحيات عسى أن تبدد شيئا من همومه، وكان من نتيجة إهماله لأسرته أن "الناصر" قد نشأ دون رقيب مما جعله يكبر مستهترا وانتهت به هذه الحياة الشاذة إلى دخول السجن بسبب جريمة أخلاقية ارتكبها.

يتزوج الطاهر مرة ثانية من أرملة تدعى سكيلا أم لثلاثة أبناء، مما يدفع بالطاهر للانتقال إلى بيت آخر "بيت الجنان" حيث سكن مع زوجته وأولاده ليسكن معهم الناصر بعد خروجه من السجن، وقد تدهور أخلاقيا إلى الحد الذي لم تعد تقف أمامه أية محرمات، فكان أن أخذ بالتلصص على زوجة أبيه "سكيلا" وملاحقتها إلى أن يجبرها على ارتكاب الفاحشة معه مرارا.

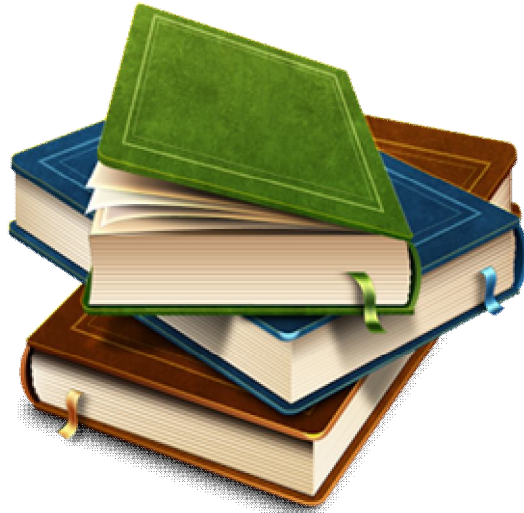
أمّا الطاهر فهو على الرغم من محاولاته الإمساك بزمام الأمور البيت والاشراف على أوضاعه، إلا أنه يحمل معه العادات التي جلبها معه من المدينة فيزداد انسحابا من حياة الأسرة، مما يساعد على انفلات الأمور وتدهورها فسالم ابن "سكيلا" يقيم علاقة عاطفية مع عائشة، وتنتهي بهما إلى ارتكاب الخطيئة ثم يهرب "سالم" إلى المدينة ويلتحق بالجندية.

تتزوج "عائشة" من "خالد" وهو شاب ريفي وضابط في الجيش فيكتشف الحقيقة، إلا أنه يقرر عدم إثارة فضيحة، فيترك زوجته عائشة مع أسرته ويعود إلى المعسكر حيث يلتقي بسالم ويعاقبه ويعمل على إرساله إلى الخدمة العسكرية في الهند الصينية حيث يموت هناك، ولكن خالد نفسه يصاب بالشلل فيرسل إلى بيته حيث تحاول عائشة التكفير عن خطيئتها بالعمل على تربيته والسهر عليه، إلا أنه يطردها من البيت بعد أن يقوم بتطويقها.

تتدهور حالة عائشة النفسية إلى الحد الذي ترسل فيه للعلاج في إحدى المصحات النفسية في العاصمة، ثم تتماثل للشفاء وتعود للبيت، فيزوجها والدها من رجل عجوز من عمره هو المكنز" في بيتها الزوجي الجديد تلتقي عائشة بأبن أخ "المكنز" وهو شاب صغير اسمه "الأزهر" فتقوم علاقة خاصة بينه وبين "عائشة" التي لا تساعد حالتها النفسية على السيطرة على سلوكها وعواطفها وممارستها، وتنتهي بها الأمور إلى أن تستلقي في العراء على أرض مبللة تحت الرياح والأمطار، فتصاب بالسل وتموت.

قائمة المصادر

والمراجع



* القرآن الكريم.

1- المصادر:

1. البشير بن سلامة: عائشة، ط2، الشركة التونسية للفنون والرسم، تونس، 1984.

2- المراجع:

أ- الكتب:

2. أبو هلال العسكري: الصناعتين، الكتابة والشعر، (د.ط)، منشورات المكتبة العربية، لبنان، 1986.

3. أبو هلال العسكري: جمهرة الأمثال، ج1، (د.ط)، المطبعة الخيرية، مصر، 1310هـ.

4. أبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي: تفسير القرآن العظيم، ج4، (د.ط)، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2006، ص 2000-2001.

5. أحمد سيد محمد: الرواية الانسيابية وتأثيرها عند الروائيين العرب (محمد ديب، نجيب محفوظ)، (د.ط)، المؤسسة الوطنية للنشر الجزائر، 1989.

6. أحمد محمد الحوفي: المرأة في الشعر الجاهلي، ط2، دار الفكر العربي، مصر، (د.ت).

7. إميل ناصيف: أروع ما قيل في المرأة (د.ط)، دار الجبل، بيروت، (د.ت).

8. بطرس خلاق: نشأة الرواية العربية بين النقد والإيديولوجية) الرواية العربية واقع وآفاق، أعمال ملتقى الرواية العربية الحديثة بالمغرب، ط1، دار ابن رشد للطباعة والنشر، بيروت، 1981.

9. جابر عصفور: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، ط2، دار التنوير للطباعة والنشر، لبنان - بيروت، 1983.

10. الجاحظ: أبو عثمان عمر بن بحر محبوب الكتاني الليثي البصري، كتاب الحيوان، ج3، (د.ط)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1996.

11. جنان التميمي: مفهوم المرأة بين نص التنزيل وتأويل المفسرين، ط1، دار الفارابي، بيروت، لبنان، 2012.
12. جورج طرابيشي، الأدب من الداخل، ط2، دار الطليعة، بيروت، 1981.
13. حسين أحمد سليم: أروع ما قيل في المرأة والحب، (د.ط.)، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، 2002.
14. حميد لحداني: الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي، (د.ط.)، دار الثقافة، الرباط-المغرب، 1985.
15. خليل أحمد خليل: المرأة العربية وقضايا التغيير، ط 2، دار الطليعة للطباعة والنشر، لبنان، 1982.
16. الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تحقيق وترجمة، عبد الحميد هندراوي، ج2، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 2003.
17. رضا عواضة: أسرار المرأة في كلمات، (د.ط.)، دار الكتاب الحديث للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1999.
18. زكي العشماوي: الرؤية المعاصرة في الأدب والنقد، (د.ط.)، دار الطباعة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1986.
19. سعد بوفلاقة: شعر النساء في صدر الإسلام والعصر الأموي، ط1، دار المناهل، بيروت، لبنان، 2004/1428.
20. السعيد الورقي: اتجاهات الرواية العربية المعاصرة، ط1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، مصر، 2009.
21. سلامة موسى: المرأة ليست لعبة الرجل، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، بيروت، 1956.
22. شوقي ضيف: تاريخ الأدب، العصر الجاهلي، ط24، دار المعارف، القاهرة، مصر، (د.ت.).
23. صادق الرافعي: تاريخ آداب العرب، ج3، (د.ط.)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1974.

قائمة المصادر والمراجع

24. الصادق قسومة: نشأة الجنس الروائي بالمشرق العربي، ط2، دار الجنوب للنشر، تونس، 2004.
25. صالح مفقودة: المرأة في الرواية الجزائرية، ط2، صدر عن وزارة الثقافة، الجزائر، 2009.
26. عباس محمود العقاد: المرأة في القرآن الكريم، (د.ط)، الكتاب العربي، بيروت، 1967.
27. عبد العزيز عتيق: في النقد الأدبي، ط2، دار النهضة العربية، بيروت، 1972.
28. عرفان محمد حمور: المرأة والجمال والحب في لغة العرب، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2006.
29. عزيزة مريدن: القصة والرواية، (د.ط)، ديوان المطبوعات الجامعية، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1971.
30. علي عبود الحمداوي: الفلسفة النسوية، ط1، دار الأمان، الرباط، 2013.
31. عمر بن قنية: الشكل والصورة، ط1، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1995.
32. فاروق خورشيد: في الرواية العربية (عصر التجميع)، ط3، دار العودة بيروت، 1979.
1. أبو فرج الأصفهاني: الأغاني، ج14، ج22، (د.ط)، دار الكتب، المؤسسة المصرية، العامة، 1409.
33. فؤاد حيدر: المرأة في الإسلام وفي الفكر الغربي، ط1، دار الفكر العربي، بيروت، 1992.
34. القالي: (أبو علي إسماعيل بن القاسم): ذيل الأمالي والنوادر، ط2، دار الكتب، مصر، 1991.
35. لخضر حليتم: صورة المرأة في الأمثال الشعبية الجزائرية، ط2، دار النشر المؤسسة الصحفية بالمسيلة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.

قائمة المصادر والمراجع

36. لينين: حول تحرر المرأة تعريب زينب نبوة، ط1، دار الجماهير العربية، دمشق، (د.ت).
37. محمد بدر المعبدي: أدب النساء في الجاهلية والإسلام، القسم الأول، (د.ط)، مكتبة الآداب و مطبعتها، مصر (د.ت).
38. محمد بن حبيب المجبر: الخبر والشعر، ط1، مطبعة، المكتب التجاري، بيروت - لبنان، (د.ت).
39. مصطفى صادق الرافعي: الإسلام انطلاق لا جمود، (د.ط)، منشورات مكتبة الحياة، د.ب، 1959.
40. مفقودة صالح: المرأة في الرواية الجزائرية، ط2، صدر عن وزارة الثقافة، 2008.
41. ميخائيل باختين: الملحمة والرواية، تقديم وتر: جمال شحيد، (د.ط)، كتاب الفكر العربي، بيروت، 1982.
42. نعيمة شوفان: المرأة منذ العصر الحجري والمرأة في الإسلام كإنسان، ط1، دار الفارابي، بيروت، 2011.
- ب - المعاجم والقواميس:**
1. ابن منظور: لسان العرب، ج1، ج2، (د.ط)، الدار المتوسطة للنشر والتوزيع، تونس، (د.ت).
2. إبراهيم فتحي: معجم المصطلحات الأدبية، ع1، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، تونس 1988.
- ج - المجلات والدوريات:**
1. عبد المالك مرتاض: الرواية جنسا أدبيا، مجلة الأقاليم، تصدرها وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ع 11، 12 سنة 1986.

د - المذكرات ورسائل التخرج:

1. إيمان القاضي: السمات النفسية والفنية للرواية في بلاد الشام (1950-1985)، رسالة ماجستير، جامعة دمشق كلية الآداب، 1989.

هـ-مواقع الانترنت:

1. رويده سالم: الحوار المتمدن، www.m.ahewar.org/sasp.

قائمة المحتويات

شكر وعرافان

إهداء

أ مقدمة

الفصل الأول: المرأة عبر العصور

- 5 تمهيد
- 6 أولا - التعريف بمفاهيم الدراسة
- 6 1- مفهوم الصورة
- 9 2- التعريف بالمرأة
- 14 3- مفهوم الرواية
- 19 ثانيا - المرأة العربية قبل الإسلام
- 19 1- مكانة المرأة العربية عند العرب قديما
- 24 2- الصفات الأخلاقية للمرأة العربية قبل الإسلام
- 27 3- مظالم الجاهلية للمرأة العربية
- 31 ثالثا - المرأة العربية في العصر الإسلامي
- 31 1- المرأة العربية في صدر الإسلام
- 34 2- المرأة العربية في العهد الأموي
- 35 3- المرأة العربية في العصر العباسي
- 36 4- المرأة العربية في العهد العثماني
- 37 رابعا - المرأة العربية في العصر الحديث
- 37 1- المرأة العربية والحقوق
- 38 2- المرأة العربية والتطور الاجتماعي والاقتصادي
- 40 3- المرأة العربية والتطور الثقافي

الفصل الثاني: تجليات صورة المرأة في رواية عائشة لـ: البشير بن سلامة

- أولاً- وصف الشخصيات النسوية في رواية عائشة 43
- ثانياً- تجليات صورة المرأة في رواية "عائشة" لـ: البشير بن سلامة 45
- 1- صورة المرأة الأم 45
- 2- صورة المرأة الحبيبة 51
- 3- صورة المرأة الضحية 56
- أ- ضحية العرف والتقاليد القاسية 56
- ب- ضحية الجهل والغفلة 58
- 4- صورة المرأة الزوجة 59
- 5- صورة المرأة العشيقة 61
- ثالثاً- الأنتى في الرواية التونسية 63
- خاتمة 67
- الملحق 71
- قائمة المصادر و المراجع 80

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المخلص:

صورة المرأة في رواية عائشة "للبشير بن سلامة" بحث تناول صورة المرأة في الرواية العربية، سلط فيه الضوء على وضعيتها ومكانتها في المجتمع العربي بين الماضي والحاضر، كما تناولنا صورة المرأة بالتحليل والدراسة للكشف عن واقعها المعاش لنخلص إلى خاتمة مفادها أن صورة المرأة لدى "البشير بن سلامة" تجسدت في كونها صورة سلبية في مجملها، عكست الأوضاع المزرية التي كانت تعيشها المرأة.

الكلمات المفتاحية: المرأة، صورة المرأة، الرواية، عائشة، بشير بن سلامة.

Résumé :

L'image de la femme dans le roman de « Aicha » de Bachir Ben Salama ; une recherche qui a traité l'image de la femme dans le roman arabe. Il a mis en exergue sa position et son statut dans la société arabe entre passé et présent. Il a également traité l'image de la femme par l'analyse et l'étude afin de déceler sa réalité vécue pour en conclure que l'image de la femme chez «Bachir Ben Salama » s'est incarnée, dans son intégralité, en tant qu'image négative reflétant les mauvaises conditions que vivait la femme.

Mots clés : La femme, l'image de la femme, le roman, Aicha, Bachir Ben Salama